

الكنيسة الكاثوليكيّة الجزائريّة

25 عامًا من النعمة

2000-2024

سنة اليوبيل

2025

الجزائر، فبراير 2026

مقدّمة

أثناء تفكيرنا كفريق في إحياء هذه السنة اليوبيليّة "حجّاج الرجاء" لكنيسة الجزائر، رأينا أنّه من المهمّ أن نعيش خبرة الكنيسة، وأن نترك لها في الوقت نفسه أثرًا ملموسًا. من هنا ولِدَت فكرة إعداد وثيقة تُخلّد ذكرى السنوات الخمس والعشرين الماضية من تاريخ كنيستنا.

بدأنا احتفالنا باليوبيل بجمع كلمات الشكر والامتنان على السنوات الخمس والعشرين الماضية من حياتنا، سواء في الجزائر أو غيرها. وقد استطاعت كلّ أبرشيّة وكلّ رعيّة أن تعيش هذا الحدث من خلال تكييف المقترح مع واقعها. ولكن بدا لنا من المهمّ جمع شهادات الأشخاص الذين عاشوا في الجزائر بين عامي 2000 و2025، أو على الأقلّ طوال جزء كبير من هذه السنوات.

وهكذا جمعنا نحو أربعين نصًّا، بطول متفاوت (من صفحتين إلى اثنتي عشرة صفحة)، بإجماليٍّ يقارب 250 صفحة. ولأسباب مختلفة لم يُفصَح عنها بالضرورة، لم يلبِّ بعض الأشخاص الذين تواصلنا معهم طلبنا. بعضهم عجزوا عن الكتابة بسبب تقدّمهم في السنّ، وآخرون لم يروا جدوى ذلك، أو لم يجدوا الوقت الكافي له. وبالنسبة إلى بعضهم، كان من المؤلم استعادة بعض اللحظات من تلك الفترة. وربّما أغفلنا أيضًا شاهدًا أو اثنين، نرجو منهم المعذرة.

عند تجميع الشهادات وقراءتها بدت لنا قيّمة، وتشهد على تنوّع كنيستنا. في الوقت نفسه، ونظرًا لتنوّعها الكبير وأسلوبها الشخصيّ في كثير من الأحيان، لم نرَها مناسبة للنشر كما هي، على الأقلّ في حياة أصحابها. لذلك اقترحنا إعادة قراءة هذه الشهادات من ثلاث نواحي مختلفة: تاريخيّة، ولاهوتيّة، وروحيّة.

ومن أجل ذلك، استعنّا بأشخاص ذوي خبرة في كنيستنا، أي مَن قضوا فيها جزءًا كبيرًا من السنوات بين عامي 2000 و2024، وعدد منهم كتبوا شهاداتهم الخاصّة. وبهذه الطريقة، جمعنا أربعة نصوص: مراجعة تاريخيّة أجراها كلٌّ من الأخت هينيا Henia، والأبوان هوبير لو بوكان Hubert Le Bouquin، وخوسيه ماريا كانتال ريفاس Jose Maria Cantal Rivas؛ ومراجعة لاهوتية أجراها كلٌّ من غي ساوادوغو Guy Sawadogo وريكاردو خيمينيز Ricardo Jimenez؛ ومراجعتان روحيّتان، أجرتهما غوسيا يابلونسكا Gosia Jabłońska وفاليري كابوريه Valérie Kaboré.

يُقدّم العرض التاريخيّ في البداية لمحة عامّة عن تاريخ كنيسة الجزائر الحديث، مع بعض الاعتبارات العامّة وعدد من التواريخ الرئيسيّة. ثمّ يُعيد النظر في الشهادات، مُسلّطًا الضوء على تنوّعها، وأهمّيّة التغييرات التي شهدتها تلك الفترة، والمكانة المميّزة للعلاقات الشخصيّة والصداقة، التي يُعَدّ طوباويّونا التسعة عشر شهودًا بارزين لها، وظهور الدعوات المسيحيّة بين الجزائريّين. إذن، هناك إرثٌ جديرٌ بالحفظ، بما فيه إرثٌ لاهوتيّ، ولكن لأيّ غاية؟

هنا تكمن أهمّيّة النصّ الثاني، اللاهوتيّ، بل والكنسيّ تحديدًا. إذ يُقدّم لنا، انطلاقًا من تأصّله في الفترة السابقة، رؤيةً للكنيسة في الجزائر، في علاقتها بالكنيسة الجامعة، مُبيّنًا مدى انتماء كنيستنا إلى عصرها: كنيسة لقاء، في سياق أقلّيّة، جماعة من المصلّين بين المصلّين، حضورٌ متواضعٌ للملكوت من خلال شهود أحياء، يدعون إلى التحوّل والمصالحة. ويختتم النصّ ببعض الرؤى لرسالة الكنيسة اليوم.

قد يكون السؤال التالي هو: "كيف ينبغي القيام بالرسالة اليوم؟" يقدّم لنا التفسيران الروحيّان بعض عناصر الإجابات، مع محاولة إبراز المواقف الروحيّة المذكورة في الشهادات.

يقدّم لنا التفسير الأوّل طريقًا لتوحيد حياتنا من خلال التبسيط، الذي يتمّ حين نقبل ذواتنا من خلال الآخرين، والعيش في أخوّة، وإدراك حضور الروح القدس الفاعل، والسير معًا، مع الآخرين، في حضرة الله.

يدعونا التفسير الثاني إلى البدء بالعيش مع أهل البلد، مع نسج روابط الأخوّة داخل الكنيسة، وممارسة الضيافة والحوار، من أجل الانضمام إلى دعوة الكنيسة العالميّة. ويختتم هذا النصّ الثاني باقتراح بعض التحدّيات المعاصرة، مثل التمسّك بالامتنان، والمشاركة في تنوّعنا، وعيش المستقبل وما يحمله من تحوّلات حتميّة.

فريق الأبرشيّات المشترك لليوبيل 2025

مراجعة تاريخيّة

«خمس وعشرون سنة في الجزائر
ولكنيسة الجزائر»

المؤلّفون

Hubert Le Bouquin : وُلد عام 1955 في سعيدة، الجزائر. وهو راهب وكاهن فرنسيّ من الرهبنة الكبّوشيّة، وصل إلى الجزائر عام 2006 مع راهبين آخرين في تيارت، حيث خدم كراع لجماعة مسيحيّة تضمّ العديد من الطلّاب من جنوب الصحراء الكبرى. شغل منصب النائب العامّ لأسقف وهران لمدّة ستّ سنوات، ومنذ العام 2024 نُقل من جماعته في تيارت إلى بني عبّاس، حيث يقيم مع ريمون غونيه، وهو راهب من رهبنة السبيريتانيّين.

Petite Soeur Henia : من أخوات يسوع الصغيرات، وُلدت عام 1960 في بولندا. وصلت إلى الجزائر، وتحديدًا إلى توقرت عام 1978، كمرشّحة للرهبنة، وانضمّت إلى جماعة الأبيُض سيدي الشيخ البدويّة حتّى العام 1993. ومنذ العام 2000، عاشت في الجزائر العاصمة، وتوقرت، وبني عبّاس، ووهران، حيث شغلت وظائف متنوّعة: طبّاخة في مصنع طوب، وموظّفة استقبال في عيادة، ومعلّمة ابتداء، ومسؤولة قطريّة، أو، وببساطة، تدبير شؤون البيت اليوميّة، كما هو حالها اليوم في توقرت.

José Maria Cantal Rivas : وُلد في غرناطة، إسبانيا، عام 1967. وهو من الآباء البيض، وصل إلى الجزائر عام 2002، بعد خمس سنوات قضاها في بوركينا فاسو. درس اللغة العربيّة الفصحى، ثمّ أدار مكتبة وهران الطبّيّة-الحيوية. وبصفته رئيسًا إقليميًّا عن تونس والجزائر، كان عضوًا في رباط السلام، وأطلق مشروع "مدرسة الاختلاف". يحمل شهادة الماجستير في الذكاء العاطفيّ، وشغل منصب مسؤول عن بازيليك سيّدة أفريقيا في الجزائر العاصمة. وهو يقيم حاليًّا في مدينة أدرار الصحراويّة.

مخطّط المراجعة التاريخيّة

1. بعض المعالم البارزة للأعوام 2000-2025 10

1-1: بعض الاعتبارات التمهيديّة 10

1-2: بعض التواريخ الرئيسيّة 11

2. بعض العناصر الرئيسيّة للشهادات 14

2-1: قصص شخصيّة وفريدة 14

2-2: خمس وعشرون عامًا من التغييرات 14

2-3: المكانة الخاصّة للعلاقات الشخصيّة والصداقة 15

2-4: بعض الاعتبارات الأكثر تحديدًا 16

3. الاستنتاجات والآفاق 17

1. بعض المعالم البارزة للأعوام 2000-2025

1-1: *بعض الاعتبارات التمهيديّة*

يقلّ تدريجيًّا عدد كبار السنّ الذين عاصروا حرب الاستقلال الجزائريّة والسنوات الأولى للاستقلال. كانوا منخرطين بشكل كبير في المجتمع الجزائريّ من خلال العمل، وتولّى بعضهم مسؤوليّات هامّة. لم تعد الجزائر، التي درّبت قادتها ونظّمت شؤونها، بحاجة إلى هؤلاء الغرباء. وقد حلّ جيل جديد من الأساقفة (غابرييل بيروار، بول دوفارج، ألفونس جورجيه، هنري تيسييه، كلود رولت) محلّ الشخصيّات البارزة في كنيسة ما بعد الاستقلال (الكاردينال دوفال، جان سكوتو، برتراند لاكاست، جورج ميرسييه).

ابتداءً من العام 2006، أصبح الحصول على تأشيرات دخول لأعضاء الكنيسة أكثر صعوبة. في هذه السنوات نفسها، ازداد عدد الطلّاب الأفارقة الذين عزّز قدومهم الجماعات المسيحيّة، وأصبحت الرعايا أكثر فأكثر مسكونيّةً. وصارت خدمة الطلّاب جانبًا مهمًّا من عمل الكنيسة. ويشهد على هذه الديناميكيّة تيزيه - تلمسان، وأيّام الشباب الجزائريّة، والجامعة الصيفيّة. في الوقت نفسه، أصبح العديد من المهاجرين من روّاد كنائسنا المنتظمين، لا سيّما في المدن الرئيسيّة شمال البلاد. وقد تحرّك عدد من أعضاء الكنيسة لدعم هؤلاء الأشخاص بالتعاون مع جمعيّات جزائريّة. كما يشارك العديد من العاملين بالكنيسة في رعائيّة السجناء.

حين يصل جيل جديد من العاملين في الكنيسة، يتوجّب عليهم إيجاد مكانهم داخل الكنيسة والمجتمع الجزائريّ، مع ضرورة إيجاد نماذج جديدة من العمل. فبعضهم يبتكر بسعادة طرقًا جديدة وأكثر مرونة للحضور في المجتمع الجزائريّ (رحلات مشي في وهران، مدرسة التنوّع، مقترحات ثقافيّة، تدريب AVS ، وشهادة BAFA...). وأثيرت تساؤلات حول مؤسّسات الكنيسة التي يمكن تسميتها "منصّات الالتقاء" (المكتبات ومراكز تدريب النساء، التي تمثّل جزءًا مهمًّا من مشاركة الكنيسة في المجتمع

الجزائريّ خصوصًا -ولكن ليس حصريًّا- الجماعات النسائيّة). وتوسّعت مراكز التكوين على اللغات. وفي الجنوب، تنمو مرافقة الأطفال ذوي الإعاقة (عين الصفراء، المنيعة...). وتنظّم حركة الفوكولاري ماريابوليس في تلمسان، التي تجمع العديد من العائلات المسلمة الجزائريّة.

في تلك السنوات، اضطرّت عدّة أماكن وجود للكنسية إلى الإغلاق بسبب نقص الكوادر: الأبيض، وششار، وغزوات، والقبة... واختفت رهبنات كانت ذات أهمّيّة بالغة من المشهد الكنسيّ الجزائريّ (راهبات العقيدة المسيحيّة، والدومينيكان، رجالًا ونساءً...) أو تضاءل عددها (أخوات وإخوة يسوع والإنجيل الصغار، وكهنة بونتيني). في الوقت نفسه، وصلت جماعات جديدة، معظمها من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (FCIM، ونوتردام دو لاك، وSIC، وSAB، و PIME رجالًا ونساءً، والكبّوشيّون، والإخوة المريميّون، ونوتردام دو لا ساليت...)، ممّا سمح لوجودٍ هُجر في التسعينيّات، بأن يتنشّط كما هو الحال في تيارت. في الشمال، حيث بدأ أطفال محلّيّون بالتوافد إلى الكنيسة (مفاجأة إلهيّة...) ممّا يمثل تحدّيًا لنا.

2-1: **بعض التواريخ الرئيسيّة**

1999: قانون الوئام المدنيّ الذي يهدف إلى إعادة دمج من أبدوا استعدادهم لنبذ العنف المسلّح في الحياة المدنيّة.

2000: بدأت الجزائر تخرج من العقد الأسود. وبدأ الأمن يعود تدريجيًّا إلى البلاد، لكنّ الناس ما زالوا متأثّرين، ولا تزال بعض ردود الفعل الأمنيّة قائمة هنا وهناك.

2004: اجتماع مشترك بين الأبرشيّات بعنوان: "إلى أيّ مراحل روحيّة ورسوليّة جديدة نحن مدعوّون ككنيسة الجزائر؟"

وفاة المطران ميشيل غانيون، أسقف الأغواط-غرداية ؛ وقد حل محله المطران كلود رول.

2005: تطويب شارل دو فوكو، في 13 نوفمبر في روما.

2006: إصدار ميثاق السلام والمصالحة الوطنيّة، الذي يهدف إلى إنهاء العقد الأسود.

2007-2006: صدرت مراسيم بشأن عبادة غير المسلمين وطُبِّقت، ويبدو أنّها حدّت من نشاط الكنيسة. تعرّض مسيحيّون إنجيليّون للمضايقات، بل والسجن. حُكم على كاهن بالسجن ستّة أشهر مع وقف التنفيذ. وتعرّض بعضهم للمضايقات واتّهمتهم بعض وسائل الإعلام بالتبشير.

2008: انعقاد الجلسة المشتركة بين الأبرشيّات للمسؤولين الكنسيّين المرسومين (SIMO). عُيّن المطران غالب بدر، وهو أردنيّ، رئيس أساقفة الجزائر (حتّى العام 2015)، خلفًا للمطران تيسييه.

2009: الأب بول ديسفارجس يحل محل الأب غابرييل بيروارد كأسقف قسنطينة وهابّون.

2010: انتهاء مشروع ترميم كاتدرائيّة نوتردام دافريك (سيّدة أفريقيا)، بتمويل جزئيّ من الجزائر.

2013: اكتمال مشروع ترميم كاتدرائيّة القدّيس أوغسطينوس (عنابة)، بتمويل جزئيّ من الجزائر.

المونسينيور جان-بول فيسكو يحل محل المونسينيور ألفونس جورجير كأسقف وهران.

2014: تمّ التحضير للجمعيّة المشتركة بين الأبرشيّات في الجزائر (AIDA) بعناية، ما أدّى إلى مجموعة من الشهادات من العديد من المسيحيّين في الجزائر الذين تأمّلوا رواية تلميذَي عمّاوس.

2015: تم تعيين المونسينيور بول ديسفارجيس كمدير لأبرشية الجزائر (وسيتم تعيينه رئيس أساقفة في ديسمبر 2016)

2017: انتهاء مشروع ترميم كنيسة نوتردام دي سانتا كروز في وهران، بتمويل جزئيّ من الجزائر. وبناءً على اقتراح الجزائر، أعلنت الجمعيّة

العامّة للأمم المتّحدة بالإجماع يوم 16 مايو "يومًا عالميًّا للعيش معًا في سلام". وقد حظي هذا الاقتراح بدعم الطريقة الصوفيّة العلَويّة، التي يقع مقرّها في مستغانم.

يحل المونسنيور جون ماكويليام محل المونسنيور كلود رول كأسقف الأغواط-غرداية.

2018: الاحتفال بتطويب بيير كلافري ورفاقه في كنيسة نوتردام دي سانتا كروز في وهران، بحضور ممثّلين عن السلطات الجزائريّة. وإغلاق تدريجيّ، على مدى السنوات اللاحقة، لجميع دور العبادة البروتستانتيّة.

2019: أحدث الحراك تغييرات جذريّة في المشهد الاجتماعيّ والسياسيّ للجزائر، مُثيرًا آمالًا كبيرة.

2020: تسبّب كوفيد-19 في إغلاق الجزائر أبوابها أمام الطلّاب الجدد من أفريقيا جنوب الصحراء. وعادوا بأعداد أقلّ، بدءًا من العام 2024، وكانوا يأتون بشكل متزايد من الدول الناطقة باللغة الإنجليزيّة. وفي ديسمبر ، توفّي المطران هنري تيسييه.

المطران نيكولا ليرنولد، أسقف قسنطينة من 2020 إلى 2024.

2021: تعيين المطران جان بول فيسكو رئيسًا لأساقفة الجزائر.

2022: تقديس شارل دو فوكو، في 15 مايو في روما. إغلاق منظّمة كاريتاس الجزائر في 30 سبتمبر بأمر من السلطات الجزائريّة.

2023: حصول المطران جان بول فيسكو على الجنسيّة الجزائريّة.

2024: رسامة دافيد كارارو أسقفًا على وهران. تشهد البلاد توجّهًا متزايدًا نحو العالم الناطق بالإنجليزيّة، ممّا يُنبئ بتأثير في حياة كنيستنا. في 7 ديسمبر، رقّى البابا فرنسيس المطران جان بول فيسكو إلى رتبة الكاردينال في روما.

2025: رسامة الأسقف دييغو ساريو كوكاريلا (الأغواط – غرداية)

والأسقف ميشيل غيو (قسنطينة وهيبون).

أعلن البابا لاون الرابع عشر رغبته علنًا في زيارة الجزائر.

2. بعض العناصر الرئيسيّة للشهادات

2-1 *قصص شخصيّة وفريدة*

بدايةً، لا بدّ لنا من توجيه الشكر لكلّ مَن خصّص وقته لكتابة كيف عاش السنوات الخمس والعشرين الماضية. إنّنا نحمد الله على تنوّع أعضاء كنيستنا وما أظهروه من شغفٍ تجلّى بأشكالٍ عدّة في عيش الإنجيل في الجزائر.

وهذه هي الملاحظة الأولى: تنوّعٌ كبيرٌ ضمن إخلاصٍ مشتركٍ للنداء من أجل المجيء إلى الجزائر. فبالنسبة إلى بعضهم، قلب هذا النداء مشروع حياتهم الذي كان مختلفًا تمامًا؛ وبالنسبة إلى آخرين، أكّد النداء "إشارات صغيرة" نالوها في الفترة الطويلة التي سبقت وصولهم إلى الجزائر. هذا النداء الإلهيّ للعيش هنا كتلاميذ للمسيح هو الملاحظة الثانية المشتركة بين الجميع. إنّه، بالنسبة إلى أبناء هذا الوطن، نداء أيضًا للبقاء في بلدهم. وبالنسبة إلى الجميع، تُشكّل الدعوة الشخصيّة والحياة على هذه الأرض الجزائريّة وجهين لعملة واحدة.

استعمل جميع كتّاب شهادات الحياة ضمير المفرد المتكلّم بصدقٍ وشجاعة. وذكر بعضهم صراحةً أسماء وأماكنَ الألم وسوء الفهم والإخفاقات البشريّة والمؤسّسيّة. ومع ذلك، لم يُعبّر أحد عن أفكاره بمرارة أو حقد، بل برغبة واضحة في لفت الانتباه أو كشف ما كان جرحًا أو ظلًّا. شخص واحد فقط تحدّث عن انعدام حرّيّة التعبير في الكنيسة (هل هذا برهان على غيابها؟).

2-2 *خمس وعشرون عامًا من التغييرات*

من أكثر الكلمات استخدامًا كلمة "التغيير": في البلاد، والتقاليد، والعالم، ومكوّنات جماعاتنا، وعلاقاتنا مع السلطات، والإسلام (الشعبيّ أو

الرسميّ)، ولاهوت الرسالة، وأساليب العلاقات، والنموّ الشخصيّ (المسار المهنيّ، والكنسيّ، والروحيّ، إلخ).

وقد تمّ الرضوخ لهذه "التغييرات" أحيانًا، وتوقّعها أحيانًا أخرى أو مواكبتها، أو ببساطة دمجها تدريجيًّا، ولكن نادرًا ما تمّت مقاومتها... فبمراجعة ربع القرن الماضي، يبدو أنّ جميع الشهود يقبلون النتيجة الحاليّة لكلّ هذه التغييرات، سواء في البلاد أو في جماعاتهم، بدون أيّ تحفّظات أو حنين إلى الماضي (باستثناء ربّما صعوبة إيجاد فرص انخراطٍ مهنيٍّ في المجتمع وتراجع مستوى اللغة العربيّة داخل جماعاتنا).

ومن بين هذه "التغييرات"، هناك تغيير يُذكر كثيرًا: أعضاء الكنيسة الدائمون الآن جميعهم تقريبًا من الجنوب. ومع ذلك، قبل 25 عامًا، كان هناك عدد قليل من الرهبان في الجزائر ليسوا من الثقافة الغربيّة. اثنان منهم فقط قدّما كتابات. ربّما طُلب من الآخرين ذلك ولم يكن لديهم الوقت لكتابة بضعة أسطر. ولكن حتّى الآن، سيكون من المفيد معرفة كيف اختبروا الانتقال من "الأقلّيّة" إلى "الطبيعيّين".

3-2 *المكانة الخاصّة للعلاقات الشخصيّة والصداقة*

في جميع الروايات، خُصِّصَ جزء كبير للأصدقاء والعلاقات ودائرة الأشخاص الذين شاركوا في العمل والروابط العاطفيّة ولحظات الفرح أو الحزن العائليّة، إلخ. ففي نظر جميع الكُتّاب، فإنّ هؤلاء الأشخاص والروابط التي نسجوها هي أبعد ما تكون عن كونها مجرّد ديكورٍ للأحداث الرئيسيّة (كالاندماج مثلًا). إنّهم ينظرون إلى كلّ هؤلاء الأشخاص والوجوه والعلاقات كجزء من دواعي البقاء والخدمة والصبر والأمل والتضرّع وتسبيح الله. يبدو أنّ هذه الوجوه المتعدّدة كان لها، في كلّ مكان وللجميع، أثر إيجابيّ في الولاء لهذا البلد وكنيسته. من خلالهم، يرى الكثيرون أنفسهم تلاميذ سعداء للمسيح. وقد تحدّث بعضهم عن "قدسيّة الصداقة". لكنّ هذه الروابط الودّيّة والعفويّة سمحت غالبًا للناس بالتحدّث والتعبير ومشاركة ما تحرّر فيهم بفضل وجود غيريّةٍ عطوفة، ممّا دفع أحدهم إلى القول: "أنا شخص سرّ مقدّس".

بحسب الشهادات، هناك إذًا خصب مزدوج: الأوّل هو ما يتولّد في الآخر من الحضور الدائم القائم على الثقة، المتفاني بصدقٍ والخالي من أيّ دوافع خفيّة، الذي يسمح بظهور جانب خفيّ من شخصيّته وروحانيّته؛ والثاني، وهو في الوقت نفسه، النضج الطويل والشاقّ لمراجعة كلّ التراث المسيحيّ في ضوء هذا الحبّ للمسلمين. يبدو أنّ الجميع رابحون في هذا! ففي فصل الصداقات، أشير عدّة مرّاتٍ إلى دور الأعضاء (الأقدم) في تجميع رصيد الثقة هذا، والروابط التي أُنشئت واكتُشفت عند الوصول.

ويظهر هذا الإغناء المتبادل جوهريًّا لدرجة الأسف لأنّ الأجيال الجديدة لم تدرك غنى هذه الروابط الودّيّة اللاهوتيّ. الأمر ليس لومًا، بل أمنية أن يتمكّن الوافدون الجدد من فهم ما كان العمود الفقريّ لالتزامٍ *مدى الحياة*.

4-2 *بعض الاعتبارات الأكثر تحديدًا*

يؤكّد بعض الشهود أنّ التسعة عشر طوباويًّا يشكّلون أساسًا مشتركًا لجميع أعضاء كنيستنا... ويذكّروننا بأنّهم لم يُطوَّبوا بسبب أعمالهم، بل بسبب الروابط التي أنشأوها لكونهم مسيحيّين مع هذا الشعب.

يقول جميع الشهود إنّهم شهدوا انغلاقًا متزايدًا للمجتمع المدنيّ والإسلام (*"ميل إلى الأصوليّة"*) على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية. ففي هذه الفترة، أبدت السلطات مواقف متقلّبة. ولكن في مجتمع منقسم فقد ثقته بها، *"يساعد وجودي على تخيّل عالم آخر"*.

ويذكر القدماء أنّ التساؤلات الشخصيّة التي دفعت الجزائريّين إلى اتّباع المسيح كانت "لا يمكن تصوّرها قبل خمسين عامًا". وفي الوقت نفسه، وصف مَن شهدوا على مسيرة إيمانهم بأنّها استجابة لنداء داخليّ ساعدت الكنيسة في توجيهه فقط، ولم تُحفّزه. ولكن يبدو أنّ هذه المسارات نحو المسيح لم تُفهم أو تُرافَق، لا في الماضي ولا في الحاضر. ويؤكّد الأكثر قِدَمًا أنّهم تخطّوا المعضلة (التي لا تزال قائمة): *"هل أنا هنا من أجل المسلمين أم من أجل المسيحيّين؟"* يلاحظ الشباب ببساطة ازديادًا ملحوظًا في حضور الجزائريّين في مختلف الأنشطة والهيئات الرعائيّة. ويشير بعضهم إلى أنّ التيّارات البروتستانتيّة المختلفة تؤثّر، في الواقع، على حياتنا

لكوننا مسيحيّين في هذا البلد.

شارك العديد من الآباء والأمّهات في هذا التمرين. ومن بين المشاركين هناك عَلمانيّون ومكرّسون، رهبان وراهبات! وإذا طُرح تساؤل عن دور العَلمانيّين ومكانتهم في كنيستنا، يؤكّد أحدهم (وهو ليس كاهنًا!) أنّ كهنوت المؤمنين يجعل المسيح حاضرًا حقًّا في أماكن كثيرة.

وعبّر الجميع عن فرحتهم بانتمائهم إلى هذه الكنيسة، الصغيرة والتعدّديّة، المتأصّلة في شعب: الجميع يعلم أنّ الملكوت أعظم من الكنيسة، وهذا دليل على مجيئه.

3. الاستنتاجات والآفاق

حتّى الآن، كان نموذج الكنيسة المقترح للقادمين الجدد هو نموذج كنيسة مستوحاة من المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وله طابع فرنسيّ طاغٍ. ويتساءل بعضهم بجرأة هل سيأتي في المستقبل من يتابع الوجود المسيحيّ في هذه الأرض. ويرغب آخرون في أن يُصاحب مطالبة بعضهم "المشروعة بمكان"، ولو جزئيًّا، التعلّم من خبرة مَن سبقوهم.

وبشكل عامّ، السؤال هو: ما هو نموذج الكنيسة الذي يُدعى إليه القادمون الجدد؟

يقول جميع الشهود الذين أتوا إلى الجزائر إنّهم نموا على مرّ السنين من خلال تولّيهم مهامًّا وخبرات متنوّعة جدًّا. وبالنظر إلى وضعهم الحاليّ، يبدون أكثر مرونة واستعدادًا لتقديم أيّ خدمة لكنيسة الجزائر. بالنسبة إليهم، يُعَدّ سرّ القربان المقدّس طريقًا إلى الملكوت مفتوحًا لجميع من يُرسَلون إليهم.

ويتّفق الجزائريّون والأجانب بالإجماع على الروابط القويّة التي تجمع بين جميع أبناء الوطن وإيمانهم بالمسيح. ويعود الفضل في ذلك إلى حظّهم بالبقاء في البلاد.

وبدون أن نقول إنّ هناك "مدرسة فكريّة لاهوتيّة جزائريّة"، يمكننا القول، من خلال قراءة الشهادات المقدَّمة، إنّهم جماعة مسيحيّة، تمكّنت من

تطوير لاهوت حقيقيّ وقراءة غنيّة للإنجيل في بلد ذي تقاليد إسلاميّة.

Petite Soeur Henia الأخت الصغيرة هينيا

Fr. Hubert Le Bouquin الأخ هيوبرت لو بوكين

P. José Maria Cantal Rivas الأب خوسيه ماريا كانتال ريفاس

مراجعة لاهوتيّة وإكليزيولوجيّة

«الاستجابة لوضع الكنيسة والمسيحيّة
في الجزائر الحاليّة »

المؤلّفون

Ricardo Jimenez Sanchez : وُلد عام 1973 في المكسيك. وهو راهب يسوعيّ، نشط في الجزائر منذ العام 2000، حيث بدأ في قسنطينة ثمّ انتقل إلى الجزائر العاصمة في العام 2009. درس الدراسات الإسلاميّة واللغة العربيّة ولاهوت الحوار بين الأديان. يدير المركز الثقافيّ الجامعيّ في الجزائر العاصمة، حيث يُعنى بتعزيز التعليم والثقافة والفنون بين الشباب الجزائريّ. كما يُقدّم الدعم الرعائيّ للجماعات الصغيرة المنتشرة في أنحاء الجزائر العاصمة.

Guy Sawadogo : وُلد عام 1981 في بوبو ديولاسّو (بوركينا فاسو). وهو كاهن من مرسلي أفريقيا (الآباء البيض)، وصل إلى الجزائر عام 2005 وقضى عامين في غرداية. بعد دراسته اللاهوتيّة، ذهب إلى تيزي أوزو عام 2011، حيث كان مسؤولًا عن مكتبة "لو فيغييه Le Figuier" ثمّ أصبح كاهن الرعيّة. بعد عامين من دراسة الأنثروبولوجيا في ليون، عاد عام 2022 إلى بازيليكا سيّدة أفريقيا (الجزائر العاصمة) ويعمل في المركز الأبرشيّ "ليه غليسّين Les Glycines"، الذي تولّى إدارته عام 2023.

مخطّط المراجعة اللاهوتيّة والإكليزيولوجيّة

1. المقدّمة 22
2. الانعطافات اللاهوتيّة والإكليزيولوجيّة 23
3. كنيسة من زمنها 24

3-1 *كنيسة الشهود: شخصيّات القداسة* 24

3-2 *كنيسة كحضور للملكوت* 25

3-3 *كنيسة اللقاء* 26

3-4 *كنيسة كاثوليكيّة ذات دعوة مسكونيّة ودعوة التبادل الثقافيّ* 27

3-5 *كنيسة جماعة من المصلّين بين المصلّين* 27

3-6 *كنيسة ذات دعوة تبشيريّة* 28

3-7 *كنيسة أقلّيّات* 29

3-8 *كنيسة كأوّل نموذج للمصالحة* 29

3-9 *كنيسة في مسيرة تحوّل* 30

3-10 *كنيسة كمكانٍ للّقاء* 30

3-11 *كنيسة جماعة استقبال* 30

3-12 *كنيسة شبكة للتعاون الكنسيّ والاجتماعي* 31

4. آفاق: «الرسالة» اليوم؟ 31

1. مقدّمة

استلهمنا من ثلاثة نصوص صادرة عن مركز الدراسات اللاهوتيّة في شمال أفريقيا(CERNA) ، التي رافقت كنائس دول المغرب العربيّ منذ استقلالها، وهي نصوص متباينة، لكنهّا تشترك في خيطٍ واحد لفهم كنائسنا في شمال أفريقيا:

- *المسيحيّون في المغرب العربيّ: دلالات لقاءاتنا* (15 نوفمبر 1979)
- *كنائس المغرب العربيّ في العام 2000* (يناير 2000)
- *خدّام الرجاء: الكنيسة الكاثوليكيّة في المغرب العربيّ اليوم* (1 ديسمبر 2014)

كما تُسهم نصوص أخرى، مثل *وثيقة الأخوّة الإنسانيّة من أجل السلام العالميّ والعيش المشترك* (2019)، ووثيقة أبوظبي، في مساعدة ومرافقة التفكير في حياتنا هنا.

في العام 2025، كلّفتنا لجنة مؤلّفة من أعضاء من أبرشيّات الجزائر الأربع بمراجعة وتقديم خلاصة لاهوتيّة لـ "الروايات" الشخصيّة والجماعيّة، لمناسبة *يوبيل الرجاء*. لقد أرادت كلٌّ من هذه الشهادات التجاوب مع واقع الكنيسة والمسيحيّة في الجزائر الحاليّة. وجاء في إحدى الشهادات: *"علينا أن نردّ عليها شخصيًّا وداخليًّا، لأنّها (الأسئلة) تساعدنا على أن نكون واضحين بشأن علّة وجودنا في الجزائر وغايتها"*.

هذه شهادات من أشخاص عاشوا الجزء الأكبر من الفترة بين عامي 2000 و2024 في الجزائر، في كنيستنا. وما نقدّمه يندرج ضمن مجال علم الكنيسة (إكليزيولوجيا)، بتفاصيله الدقيقة التي تفسّر مختلف التقلّبات والتغيّرات في المنظور الرعائيّ والتجذر في البلاد. النقاط المطروحة تطرح التساؤل عن إيماننا وحضورنا المسيحيّ في الجزائر.

قبل خمسة عشر عامًا، في عام 2010، صاغت مجموعة *التفكير الكنسيّ في الجزائر* (GREA) وثيقة بعنوان *الظروف الجديدة للرسالة في الجزائر*.

هذه الفقرة من الوثيقة لا تزال حاليّة ومفيدة في مراجعتنا لهذه الشهادات التي تزيد صفحاتها عن 250 صفحة :

"لا نعتقد أنّ هذه الدعوة المزدوجة لنصّ عام 2000 - أن نعيش "كنيسة اللقاء" و"كنيسة كسرّ مقدّس" (علامة ووسيلة، رغم أو بسبب هشاشتها العدديّة والمؤسّسيّة) - ستتغيّر غدًا. لكنّ مهمّتنا في هذا النصّ هي محاولة الإشارة واستقبال الأزمنة القادمة كفترات نهضة للأشخاص داخل الكنيسة، وبالتالي، انتقال محتمل في شهادتنا. لقد تميّز تاريخ الكنيسة منذ الاستقلال عام 1962 بثلاث مراحل على الأقلّ: نحن لسنا بقايا استعماريّة، بل وُلدنا من *فعل تأسيسيّ*، من دعوة الكاردينال دوفال للبقاء هنا، بل وحتّى للمجيء إلى هنا؛ تلتها فترة من *الخدمة المتفانية* لتنمية البلاد، ثمّ أوقات مأساويّة من *التضامن في المعاناة*. لكن ما يميّزنا حاليًّا هم هؤلاء القادمون الجدد، هؤلاء المسيحيّون العابرون من الجنوب، هؤلاء المسيحيّون الجدد الذين يولدون. كيف سيشكّلون معًا كنيسة اللقاء، والكنيسة كسرٍّ مقدّس؟ هل في سياق جزائريّ تتداخل فيه، من جهة، التأثيرات الخارجيّة للاقتصاد العالميّ المتعثّر والاضطرابات الإسلاميّة غير المستقرّة، ومن جهة أخرى، الضغط الداخليّ المتزايد لشعب يشكّ في نفسه ومستقبله؟ هذا السؤال يُفسّر خطّتنا: أيّ **نوع من الجزائر** يدعونا أو يحثّنا؟ ما الوجه الجديد الذي يتّخذه **تنوّعنا** في الكنيسة؟ هل هناك حاجة لانعطاف بعض **الخيارات الرعائيّة؟**

يُطابق مصطلح "*انعطاف*" تمامًا هذه التحوّلات المختلفة في الحياة الكنسيّة في البلاد. هذه "*الانعطافات*" هي التي تُظهر حيويّة الحضور المسيحيّ في الكنيسة الجزائريّة، في رفقة مع السكّان، وغالبيّتهم من المسلمين.

2. الانعطافات اللاهوتيّة والإكليزيولوجيّة

واجهت الكنيسة في الجزائر تحدّيات لاهوتيّة وكَنَسيّة هامّة. ففي العام 2000، نهضت الكنيسة من "الديناميس" بعد سنوات عصيبة من الإرهاب، فشهدت لتعلّقها بالبلد وشعبه، ودفعت ثمن ذلك بالاستشهاد. وقد أظهرت هذه

المأساة الوطنيّة أنّ الكنيسة في الجزائر ليست مجرّد تجمّع للمؤمنين والمسيحيّين الممارسين، بل هي حضور لمسيحيّين مُرسَلين كشهود للمسيح وبروحه إلى جميع الجزائريّين، بغضّ النظر عن دينهم. لقد عانى المسيحيّون في الجزائر بأجسادهم ما عاناه جميع السكّان، ونحن، مسيحيّو اليوم، نشعر بأنّنا ورثة هذه الخبرة.

بعد قراءة عشرات الشهادات من مختلف الأبرشيّات ومن أفراد متنوّعين (طلّاب، مسيحيّون جزائريّون، مسلمون جزائريّون، مسيحيّون في السجون، مهاجرون، مغتربون، رهبان وراهبات، علمانيّون، كهنة، وغيرهم)، نلاحظ أنّ انعطافاتٍ لاهوتيّة وإكليزيولوجيّة تظهر عبر التاريخ في هذه الشهادات، وهي تسعى للإجابة عن السؤالين التاليين: *ما هي محطّاتنا الشخصيّة في الفترة 2000-2025؟ وما هي التحدّيات الجديدة التي تواجه كنيستنا اليوم؟* هذه الانعطافات هي ما نتناوله في هذه المحاولة في المراجعة والتفكير والكتابة.

3. كنيسة في زمنها

3-1 *كنيسة الشهود: شخصيّات القداسة*

تميّزت كنيستنا في الجزائر، على مدى ربع القرن الماضي، بشخصيّاتٍ من القداسة، ولا سيّما شخصيّات تاريخيّة لا تزال تُذكر (القدّيس أوغسطينوس والقدّيس شارل دو فوكو)، وآخرون ساهموا في تغييرات البلاد (الكاردينال دوفال، رئيس الأساقفة تيسييه، وغيرهم)، وشخصيّات شهداء التسعينيّات الذين شكّلوا روح الكنيسة منذ تطويبهم. تستحضر بعض الشهادات روحانيّاتٍ مرتبطة بالقدّيسين المؤسّسين (مار منصور، القدّيس إغناطيوس دي لويولا، وغيرهم). إنّ ***كنيسة الشهود*** هذه تُضفي معنًى على وجودنا وتُعمّقه.

تتكوّن كنيسة الشهود من الشهداء، ومن العديد من المسيحيّين المجهولين، معظمهم من العلمانيّين. يُمثّل شهداء التسعينيّات التسعة عشر مصدر فرحٍ وتعزية؛ فهم مصدر إلهامٍ ودعوة، بل وتساؤل عن كيفيّة عيشنا

كمسيحيّين في هذا البلد. فتاريخ الكنيسة في الجزائر هو تاريخ شهدائها الذي يعود إلى شخصيّات القرون الأولى (القدّيسة سالسا، وغيرها). ويُلاحظ في تاريخ الكنيسة في الجزائر اهتمامٌ بنقل الرسالة وبناء جسورٍ تُجسّد تجذّر الكنيسة والمسيحيّة في منطقة شمال أفريقيا. لطالما دُعيت الكنيسة لخدمة شعبها، الذي لم يقف لا مبالٍ تجاهها. كتب كريستيان سالنسون في مقالته ***"Cette Église révélée par les martyrs d'Algérie"*** (سبتمبر 2010)، متحدّثًا عن شهداء التسعينيّات:

"إنّهم يُدشّنون شكلًا أصيلًا من القداسة، ينطوي على مسارات جديدة للقداسة التي تزعج: نبذ الدعاية الترويجيّة واحترام المسلمين".

2-3 *كنيسة كحضور للملكوت*

تتكرّر أفكار حول العلاقات القائمة على المجّانيّة والانفتاح على الآخرين. وكثيرًا ما يُشار إلى كنيسة الجزائر من حيث نوعيّة العلاقات التي تُقيمها مع رجال ونساء جزائريّين. إنّها واحة في هذه الأرض الإسلاميّة. وتُعرف الكنيسة بقوّة بأنّها "حضور كنسيّ".

الكنيسة هي حضور الملكوت، بذار الملكوت، حضور بين السكّان المحلّيّين. إنّها حضور الابن البكر من بين إخوة كثيرين. وتلعب جودة علاقاتنا دورًا هامًّا في ذلك. يمكننا أن نكون علامات للمصالحة والرحمة. جودة العلاقات الإنسانيّة تُشكّل جينات كنيستنا. فالبحث عن حضور المسيح وملكوته يتمّ ضمن شبكات العلاقات، وتحاول الكنيسة أن تعيشهما في صميم الثقافة المحلّيّة. المسيح هو حضور الله في كلّ إنسان. وتُعاش رسالة الكنيسة وحياتها مع الآخرين، في ارتباطٍ وشراكةٍ متبادلَين. وكما قال المطران تيسييه، يمكن تُعاش جودة العلاقات كـ***"سرّ مقدّس للصداقة"***. وكما قال كريستيان دو شيرجيه "الكلمة صار أخًا". إنّ عيش الأخوّة الشاملة نداء يوميّ، وهذا ما يدعونا إليه باستمرار رئيس أساقفة الجزائر الحاليّ، الكاردينال فيسكو. وفي هذا الربط بين الكنيسة والملكوت، يشارك "مسيحيّون مجهولون"، ويؤازرون بفعاليّة، في خدمات الكنيسة

وفضاءاتها. فهناك عمقٌ يُعاش ويعبِّر عن أنّ حضور يسوع الأسراريّ يظهر في وسط هذا الشعب.

3-3 ***كنيسة اللقاء***

إنّنا نأتي إلى مجتمعٍ معقّد. الجزائر بلدٌ معقّد، والمجتمع المسيحيّ فيها، المؤلّف من سكّانٍ محلّيّين وأجانب، يعيش ضمن ثقافةٍ معيّنة. يتميّز هذا المجتمع الجزائريّ في المقام الأوّل بإرثٍ أمازيغيّ وعربيّ وفرنسيّ، فضلًا عن تأثيرات تركيّة عثمانيّة، وغيرها. وهذا ما يفسّر تعدّد الثقافات المحلّيّة والمناطقيّة. كما تعكس اللغات المحكيّة التنوّع الثقافيّ للبلاد.

في لقاءاتنا الأسبوعيّة أو الأبرشيّة، تظهر التعدّديّة الثقافيّة بوضوح. وهذا يفرض ويتطلّب انتباهًا خاصًّا إلى الآخر. يمكننا أن نذكر في هذا السياق جهود استعمال لغاتٍ مختلفة في لقاءاتنا: الأمازيغيّة، والعربيّة، والفرنسيّة، والإنجليزيّة، وغيرها. فجهد الانثقاف حاضر في ذهن المسيحيّين. واكتشاف الآخر في الغيريّة يستدعي الانفتاح. نحن كنيسة لقاءات رجال ونساء يحملون في ذواتهم ثقافةً ما.

تكتسب ***كنيسة اللقاء*** معناها الكامل. ***فالكنيسة عالميّةٌ بوضوح***، أي متعدّدة وتستقبل التنوّع. تتشكّل هذه الكنيسة أوّلًا من انتمائها الجزائريّ، من خلال مسيحيّي البلد، والمؤمنين القادمين من دول أفريقيّة أخرى ومناطق مختلفة من العالم (طلّاب، مهاجرون، مغتربون، وغيرهم).

تشجّع ***كنيسة اللقاء*** هذه على التعلّم من تجارب الآخرين، في جميع النواحي، ونكتشف أنّ هناك لقاءات تُغيّر الحياة، لأنّنا نكتشف المجّانيّة والاستعداد الداخليّ تجاه الآخر، ومن خلالهما يُمكن أن يُولد من جديد الرجاء والحياة المعطاة في صدى ما يُعاش شخصيًّا. اللقاء مضياف، ***فالضيافة*** متأصّلة بعمق كقيمة أساسيّة في المجتمع الجزائريّ. هذه القيمة تُساعدنا على فهمٍ أعمق لزيارة مريم لنسيبتها أليصابات. فقد رحّبت هاتان المرأتان بعضهما ببعض، عارفتين أنّ كلتيهما تحملان حضور الروح القدس.

إنّ وجود ثقافة الآخر، والثقافة الجزائريّة خصوصًا، يطرح سؤالين: *ما الذي يخبرني هذا عن الإنسان؟ وما الذي يخبرني هذا عن الله؟* هذان السؤالان يساعدان على فتح تفكيرٍ خريستولوجيّ منثقف في عصرنا. فالشهادات تُعبّر عن طرائق اللقاءات، وهي مختلفة بعضها عن بعض، وتُعاش كخبراتٍ في المجّانيّة. في موقف الانفتاح، والاستقبال، والاستعداد الداخليّ للذهاب إلى الآخرين وإلى ما يمسّنا فيهم. عندما يحدث اللقاء، يمكننا أن نترك ما يحدث بيننا يغيّرنا. فالمجّانيّة ليست سلعةً تُشترى، ولا يمكننا إرغامها، أو صناعتها. وقد عبّر بعضهم عن ثقة في إمكانيّة العيش معًا.

لا شكّ في أنّ الكنيسة في الجزائر تتأثّر بوجود الإسلام، وإيمان المسلمين، ومكانة الإسلام في مشيئة الله. فلقاء هذا الآخر المختلف لا يُقلّل من شأن إيمان المرء بل يُعمّقه. كيف يمكن أن يعيش الجزائريّ مع التوتّر بين الكنيسة والأسرة مع الحفاظ على إخلاصه لرسالة خاصّة بنا: لقاء العالم الإسلاميّ الجزائريّ والشهادة معه؟

3-4 ***كنيسة كاثوليكيّة ذات دعوة مسكونيّة ودعوة التبادل الثقافيّ***

يأتي الكاثوليك، وكذلك المسيحيّون من مختلف الطوائف الذين يشاركون في حياة الكنيسة، من بلدان وثقافات متنوّعة. وتتجلّى في لقاءاتنا ***المتعدّدة الثقافات والمتفاعلة الثقافات***. إنّنا نمارس حقًّا الحوار المسكونيّ يوميًّا في حياتنا. إنّه واقع يدعونا إلى التفكير في أساليب عملنا، والعمل على أسس تفاهمٍ أخرى، وإجراء تعديلات شخصيّة وجماعيّة باستمرار. تعكس هذه الحقيقة *الكنسيّة المتعدّدة الثقافات* اليوم غنًى إنسانيًّا وروحيًّا، وتضامنًا بين شعوبٍ مختلفة. إنّ كنيستنا وجماعاتنا المسيحيّة هي تعبير عن خبرة العنصرة، حيث سمعت شعوب مختلفة لغة واحدة، لغة روح الله.

3-5 ***كنيسة جماعة من المصلّين بين المصلّين***

يمكن تعريف الكنيسة في الجزائر بأنّها ***جماعة من المصلّين بين أناس آخرين يصلّون***. نحن شهود على إيمان المسلمين. النداءات الخمسة للصلاة تجعلنا في شراكة مع الصوت الذي تطلقه. فصلاتهم هي التي نسمعها غالبًا

ونشارك فيها "بدون وعي". الصلاة ينبوع قرب من يسوع المسيح ومصدر إلهام في رغبتنا بالانثقاف والمشاركة في حياة الوطن. نتمنّى الصلاة مع المؤمنين الآخرين بالحماس والخشوع نفسه.

إنّنا نشهد لهويّتنا حين نصلّي معًا، في اجتماع، في شراكة، في تفاعل. الصلاة تبني الجماعة، وبهذا تلفت نظر الجماعة المسلمة باحترام. فالعيش مع مؤمنين مسلمين قد يغني ما نعيشه روحيًّا. فنحن على يقين بأنّ الله يسكن في قلوب أهل هذا البلد، وأنّه من خلالهم يكشف لنا حكمته. إيمانهم وبساطتهم وإخلاصهم لله أمور تلهمنا وتساعدنا على البقاء أوفياء للمسيح. فنحن نستمدّ الدعم، بدون قصد منهم، من إيقاع صلاتهم اليوميّة.

نحن نعي أنّ كنيستنا هي جماعة من المصلّين المسيحيّين. وفي هذا الصدد، نخصّ بالذكر شهادات الطلّاب، والإخوة والأخوات المهاجرين، والسجناء. فتقواهم بسيطة وملتزمة. إنّهم يعلّموننا أيضًا طريقة شخصيّة للتقرّب من سرّ الله. فهذه الجماعات تُكثّف صلاتها في الجزائر، إذ تشعر بالحاجة إلى الاجتماع للصلاة واستحضار اسم يسوع المسيح، مخلّص الجميع. إنّهم انعكاس ***لقداسة الحياة اليوميّة*** (*Gaudete et Exultate*، مارس 2018). ويمكنهم أيضًا أن يرشدونا إلى طريق تقوى خاصّة.

6-3 *كنيسة ذات دعوة تبشيريّة*

تشعر الكنيسة في الجزائر بأنّها تبشيريّة، بمعنى نشر بشارة يسوع المسيح في البلدان والمناطق التي تُرسَل إليها. يتمتّع أعضاء هذه الكنيسة، ولا سيّما الأعضاء الجدد الدائمون، بوعي تبشيريّ. يشعرون بوضوح أنّهم مُرسَلون إلى أرض رسالة. إنّها كنيسة تلبّي نداءً ودعوة. فللعيش فيها بسعادة، يجب الشعور بنداء الربّ، ونداء الوطن، ونداء الكنيسة، ونداء الرسالة. فمن خلال شعورنا بأنّنا مُرسَلون، نسعى باستمرار إلى فهم معنى رسالتنا. قد يُسبّب هذا أحيانًا "شعورًا بالضياع"، ولكنّه قد يكون أيضًا مصدر إلهام. فبالنسبة إلى كثيرين، من الواضح أنّ دعوة هذه الكنيسة في الجزائر هي العيش في أخوّة مع الشعب الجزائريّ، حيث يتجلّى العيش معًا.

3-7 ***كنيسة أقلّيّات***

الكنيسة في الجزائر ***كنيسةٌ أقلّيّة***، تتّسم بالتواضع والبساطة والهشاشة والتواري، ومستقبلها غامض. من خلال نشاطها في مختلف الخدمات التي تُقدَّم للبلاد، والتي تُفيد فئاتٍ مُختلفة (الأطفال، والشباب، والطلّاب، والسجناء، والنازحين، وغيرهم)، تُدرك الكنيسة نفسها ***ككنيسةٍ صغيرة، ككنيسةٍ في المذود***، في خدمة أقلّيّةً مسيحيّة، وفي الوقت نفسه خدمة شعبٍ مسلم. هذا الجانب من كنيستنا مصدر إلهامٍ لكثيرٍ من الناس. إنّه بمثابة علامةٍ نبويّة. فكنيستنا على صورة مذود بيت لحم: ميلادٌ في التواضع. بالنسبة إلى كثيرين، يتعلّق الأمر بتحقيق دعوتهم المسيحيّة هنا بالكامل. فرسالتنا تتمّ في خدمة غير المسيحيّين، وتحديدًا المسلمين، وخصوصًا مع أفقر الناس وشباب البلد. يقودنا المعنى الروحيّ لهذا الوعي إلى القول بأنّنا نستطيع أن نحمل يسوع في أقداسنا الداخليّة. في هذا التواضع، ومن خلال مائدة اللقاء، نكتشف الطريق إلى مائدة الإفخارستيّا.

3-8 ***كنيسة كأوّل نموذجٍ للمصالحة***

تشارك الكنيسة في الجزائر في حياة البلد، في رغبتها بإعادة بناء ذاتها، وفي الثقة بنفسها، وفي الإيمان بقدراتها. ففي أحضانها وُلد تلاميذ المسيح واكتشفوها. وبهذا المعنى، فهي كنيسة مواطنة في مسيرة لخدمة المجتمع الجزائريّ. إنّها تشارك بشكلٍ أوسع في طريق ***المصالحة***. فجميع الأماكن التي ينشط فيها المسيحيّون، مثل تبحرين، وكاتدرائيّة سيّدة أفريقيا في الجزائر العاصمة، وكنيسة القدّيس أوغسطينوس في عنابة، وأيضًا أماكن اللقاءات والخدمات، هي ***نماذج أصليّة للذاكرة والمصالحة وشفاء الذات والمجتمع***. إنّها كنيسة يحرّكها رجاء قويّ، تَشكَّل في الآلام المشتركة مع الأصدقاء المسلمين. فقد رسّخت فترة "العقد الأسود" وجود الكنيسة في هذا البلد.

وتساعد الكنيسة، من خلال أنشطتها، كلّ فرد على اكتشاف ذاته والتصالح معها: إنّها مكان للمصالحة، حيث يتمّ تجاور الاختلافات

والانقسامات وأوجه التشابه. وهي المشاركة في إعادة بناء الذات لبناء مجتمع أفضل، من خلال الخدمات التي تقدّمها الكنيسة، عبر جماعات الرهبان والراهبات والعلمانيّين. وهذه الخدمات تكشف عن الدعوة للإصغاء إلى الفقراء والمهمّشين في المجتمع وخدمتهم.

3-9 ***كنيسة في مسيرة تحوّل***

تتشكّل الكنيسة في الجزائر من خلال إعلان الإيمان، ومن خلال حضور ممارساتها الخفيّة والعلنيّة، ومن خلال اللقاء والحوار والإعلان. إنّها***كنيسة في مسيرة***، في تحوّل، في رفقة السائرين، والتلاميذ الجدد، والمعمّدين حديثًا. يختبر الكثيرون أنّ لقاء المسيح هو لقاء حيّ مع من *"غيّر حياتي"*. الربّ يشفي الجراح الداخليّة ويضعنا على طريق المصالحة. فالكنيسة تُمكّن من لقاءات شخصيّة مع المسيح الذي يشفي ويغفر ويمنح الثقة. والله يُعيد ويُحرّر ويُرسِل. الكنيسة التي تستقبل أبنائها المجروحين هي جماعة تُجسّد المسيح المخلِّص، كنيسة تُرمّم القلوب المكسورة، ونحن نشهد ذلك كلّ يوم.

3-10 ***الكنيسة كمكان للّقاء***

الكنيسة جماعة، وهي أيضًا ***مجموعة أماكن حضور*** وإبداع ومبادرات متنوّعة، وتعبير عن الجمال والبحث الشخصيّ والجماعيّ. هذه الأماكن قادرة على أن تكون منشأ *"صداقات متبادَلة، وألفة يُفتَّش عنها، واحترام للاختلافات الدينيّة، وباب مفتوح لكلّ امرأةٍ ولكلّ رجلٍ عابر..."* يمكن أن تصبح أماكن الكنيسة هذه، أو تأسيس الجماعات الرهبانيّة، أماكن للتضامن بين المسلمين والمسيحيّين. هذا الحضور الكنسيّ، الذي قد يبدو بسيطًا، يعلن كلّ البشارة التي جاء بها يسوع الناصريّ. أماكن الحضور، سواء كانت نائية أو معزولة، تُظهر التقارب وحضور إصغاءٍ نوعيّ.

3-11 ***كنيسة جماعة استقبال***

الكنيسة في الجزائر جماعة استقبال. بالنسبة إلى بعضهم، ***الكنيسة هي عائلتهم الثانية***. فهي تستقبل علاقاته وروابطه مع الجزائريّين المسلمين،

وتستقبل بوضوح الجزائريّين الراغبين في أن يصبحوا تلاميذ للمسيح، سواءً من خلال المعموديّة أو من خلال عهدٍ قلبيّ مع الجماعة. ويُعتبر استقبال المسيحيّين الجدد ومرافقتهم أمرًا مُسلّمًا به في العمل الرعائيّ لكلّ أبرشيّة. لا شكّ في أنّنا دائمًا في حركة "البداية تلو البداية". كلّ شخص نستقبله يحمل قصّةً وعلاقةً خاصّة مع البلد، ومع الإسلام، ومع مواطنيه.

12-3 *كنيسة شبكة للتعاون الكنسيّ والاجتماعيّ*

تُتيح مختلف هيكليّات الكنيسة (المراكز، والرعايا، وأماكن العبادة، وغيرها) إمكانيّة التعاون واستقبال الوافدين الجدد. وحيث إنّ العمل الرسميّ والمأجور ممنوع في البلاد، يُطلب من العاملين الجدد في الكنيسة القيام بعملٍ ورسالةٍ داخل هيكليّات الكنيسة أو تحت إشراف رهبانيّة.

4. آفاق: "الرسالة" اليوم؟

ما الرجاء الذي نحمله ككنيسة؟ ما هي منابع الرجاء لمستقبل كنيستنا وبلدنا؟ عندما نتحدّث عن الرجاء، فإنّنا نستحضر المستقبل. يقول البابا فرنسيس: "الرجاء دائمًا جماعيّ". الرجاء يخيّم على هذه الكنيسة؛ إنّه جزء لا يتجزّأ من كيانها. العقد المظلم وحياة الشهداء يذكّروننا بذلك.

كيف نبتكر طريقة جديدة لنكون كنيسة في الجزائر التي تشهد نموًّا اقتصاديًّا وتحسّنًا في البنية التحتيّة، ولكنّها في الوقت نفسه، وبشكل متناقض، تستمرّ في الانغلاق على نفسها أكثر فأكثر؟ أن نكون اليوم كنيسة في الجزائر يعني:

- *الاستعداد للّقاء (كن حاضرًا)*

استطاعت كنيستنا في الجزائر منذ زمنٍ بعيدٍ تنمية مواقف نوعيّة من الحضور. يجب أن يتمّ الإحساس "بحضورنا هنا" بمختلف جوانبه. فاندماجاتنا الرعائيّة أماكنَ يُمكن فيها عيش هذا "الحضور هنا" النوعيّ.

- *الانتباه إلى نعمة "الحضور هنا" مع قصصنا*

وصل عاملون جدد إلى الكنيسة في ربع القرن الماضي. إنّهم ينتمون إلى رهبانيّاتٍ وكنائس محلّيّة وعليهم أن يتعلّموا الكثير من الكنيسة في الجزائر. وفي المقابل، لدى كنيستنا أيضًا الكثير لتقوله وتقدّمه لهؤلاء الأعضاء الجدد الوافدين. لذا، فنحن جميعًا مدعوّون للانتباه إلى نعمة "حضورنا هنا"، كي نشعر بحاجات كنيستنا ومحيطنا لنلبّيها بطريقة مناسبة.

• *نشر الكلمة التي تنقل الفرح والرجاء*

إنّ كنيسة الجزائر كنيسةٌ عرفت كيف تُظهِر الأخوّة والقرب، لا سيّما في الأوقات العصيبة، كنيسةٌ لم تُدِر ظهرها قطّ لواقع الجزائر، سواء كان سعيدًا أم حزينًا. إنّها تريد أن تحمل فرح الإنجيل، وأن تكون حاضرةً حيثما استطاعت، حاملةً الرجاء إلى أكثر الناس حرمانًا، من مرضى ومهمَّشين وسجناء.

• *أن نجد بوصلتنا الداخليّة، وقناعاتنا الشخصيّة بشأن العيش هنا*

إنّ خصوصيّات كنيستنا في الجزائر، بصغر حجمها، وفي بيئة مسلمة، وفي مكوّناتها المختلفة، تدفع أعضاءها إلى شخصنة توجّهاتهم الداخليّة وصياغة قناعات رسوليّة قويّة، ليعيشوا كمسيحيّين حقيقيّين.

• *تنمية شعور بالاستقبال المتبادل، مع التحلّي بالصبر*

نُعرّف أنفسنا على أنّنا كنيسةٌ للّقاء؛ وهذا يتطلّب حسّ الضيافة والحضور والإصغاء والصبر والمرونة. يتعلّق الأمر بالسير مع الآخر المختلف في إيمانه، "مؤمنين بين المؤمنين"، ببطءٍ وتدريجيًّا.

• *العمل على تعزيز الانثقاف، وهو الطريق الحقيقيّ لترسيخ الكنيسة*

تظهر جماعات محلّيّة صغيرة هنا وهناك في رعايانا بالجزائر. ولعلّ الوقت قد حان لإضفاء طابع جزائريّ على بعض الممارسات الكنسيّة لتتلاءم بشكل أفضل مع مسيحيّي البلاد. وتلعب اللغة دورًا هامًّا في هذه

العمليّة، إذ ستتيح لنا، في علاقاتنا اليوميّة وفي طقوسنا الليتورجيّة، أن نخاطب الله بأسلوب محلّيّ جزائريّ.

P. Guy Sawadogo الأب جاي سوادوجو

P. Ricardo Jimenez الأب ريكاردو خيمينيز

مراخعات
روحيّة

«طرق الرجاء»

المؤلّف

مالغورزاتا (غوسيا) يابلونسكا: وُلدت في بولندا عام 1966. انضمّت إلى الراهبات الفرنسيسكانيّات مرسلات مريم في العام 1990، ووصلت إلى شمال أفريقيا عام 2000، وتحديدًا إلى ليبيا. انتقلت إلى الجزائر العاصمة عام 2004، ثمّ سافرت إلى مصر لدراسة اللغة العربيّة الفصحى والدراسات الإسلاميّة. عادت إلى الجزائر في العام 2008. ومنذ ذلك الحين، تتولّى إدارة قسم العلوم الإنسانيّة في المركز الثقافيّ الجامعيّ، كما أنّها مسؤولة عن جماعتها في حسين داي (الجزائر العاصمة).

مخطّط المراجعة الروحيّة الأولى

"حجّاج الرجاء"
طريق حضور لأجل الملكوت 38

1. تلقّي الذات من الآخرين 41
2. عيش الأخوّة 44
3. إدراك حضور الروح القدس الفاعل 46
4. كن حضورًا 48
5. لقاء مع الله ولقاء مع الآخر 50
6. السير معًا 52
7. الخاتمة: كن متفرّغًا 53

"حجّاج الرجاء"

طريق حضور لأجل الملكوت

نحن كائناتٌ تتشكّل من خلال اللقاءات والعلاقات. فهي تُشكّل خلفيّة هويّتنا، وكذلك خلفيّة الروايات التي جُمعت لمناسبة اليوبيل.

للآخر مكانةٌ هامّةٌ في حياتنا، وهويّتنا تُبنى مع الآخرين. فالخروج من الذات، سواء على المستوى الشخصيّ أو في جماعة الإيمان، والذهاب للقاء الآخرين، وعيش الحوار مع العالم، ومع الأديان، ومع "الآخرين"، هو شقّ طريق الخلاص المسيحيّ، من خلال عدم التمحور على الذات والانتباه إلى القريب. هذا ما خلصتُ إليه بعد قراءة المشاركات.

إنّ الصورة التي تستحضر في ذهني خبرة مسيراتنا هي صورة النسيج. فكلٌّ من النسيج والمسير يستغرقان وقتًا، ويتطلّبان صبرًا، وهما مسار. النسج بالخيوط يتمّ بحركة ذهابٍ وإيابٍ تتبع الإبرة، وأجمل النتائج تتحقّق عندما تُنسج خيوطٌ بألوانٍ مختلفةٍ معًا. هذا النسيج متعدّد الألوان يُعبّر عن تنوّعنا. إنّه يجعلنا ننفتح على آفاقٍ جديدة للضيافة، التي تمّ عيشها وتقديمها في قصصنا. إنّها تسمح للروابط بأن تُنسَج، والجماعات بأن تُبنى. إنّها تفتح على لقاءات حقيقيّة، وتُسهّل الانفتاح على مَن هم خارج نطاق جماعة الإيمان، على الجوار من الشعب الجزائريّ، على المشاركة مع جماعات مسيحيّة أخرى، وعلى الحوار في الحياة اليوميّة، وعلى قضايا الزمان والمكان - وهو ما تدعونا إليه وثيقة اليوبيل " *Spes non confundit* " مؤكّدةً على أهمّيّة اكتشاف الرجاء في علامات الأزمنة. فنحن نلاحظها في الأحداث من خلال علاقتها بملكوت الله، كاشفةً عن الأماكن التي يحدث فيها عمل الله الذي يأتي بالخلاص.

في الروايات، تحدّث كثيرون منّا بهذه الطريقة عن الخدمة والقرب. ففي موقف الخدمة، وبالتقرّب من الآخرين، نكتشف حضور الله في تفاصيل حياتنا اليوميّة، في صميمها. هذه هي خبرة يسوع نفسه. ففي حياته العلنيّة،

عاش رتابة الأيّام في قرى فلسطين، بوتيرة الاحتياجات المتكرّرة: احتياجات إلى الخبز والصحّة والمغفرة. لقد جعل حضوره اللحظات العاديّة تتجلّى، كما هو حال كلّ شيء يمسّه الحبّ. وينطبق الأمر نفسه على أمثال الأناجيل، حيث تبدأ الأشياء المألوفة جدًّا، كالكرم والحظيرة والدرهم والسراج، في التألّق بنور جديد. فمن خلال إعطاء صوت للحياة اليوميّة، تكشف الأمثال فيها عن معنى: لقد كشف الله عن عظمة الملكوت ليس فقط لصغار هذا العالم، بل أيضًا في أشيائه الصغيرة؛ وقد اختبر العديد منّا هذا الأمر طوال حياته.

يمكننا هنا أن نربط بسهولة مع آخر رسالة بابويّة للبابا فرنسيس، "*Dilexit Nos*"، عندما كتب:

"قلبنا يعيش مع قلوب أخرى تساعده على أن يكون "أنت". [...] لأنّ القلب وحده هو مكان اللقاء الصّميم، ويخلق الألفة الحقيقيّة بين كائنَين [12]... يوجد في قلب كلّ إنسان هذا الارتباط المتناقض بين احترام الذّات والانفتاح على الآخرين، بين اللقاء الشّخصيّ جدًّا مع الذّات وعطاء الذّات للآخرين. لن تكون أنت ذاتك إلّا عندما تكتسب القدرة على أن تعترف بالآخر، ويتمُّ اللقاء مع الآخر القادر على معرفة هويّتك وقبولها [18]. القلب قادر أيضًا على توحيد وتنسيق التّاريخ الشّخصيّ للإنسان، والذي يبدو مجزّأً إلى ألف قطعة وقطعة، ولكن حيث يمكن أن يكون هناك معنى لكلّ شيء". [19]

عندما يفكِّر كلّ واحد منّا، ويبحث ويتأمّل في كيانه وهويّته، أو يحلِّل الأسئلة الكبرى، وعندما يفكِّر في معنى حياته وحتّى إن كان يبحث عن الله، حتّى لو أنّه شعر وكأنّه رأى شيئًا من الحقيقة، لن يصل إلى الغاية إلّا في الحُبّ. في الحبّ يشعر الإنسان أنّه يعرف لأيّ سبَب ومن أجل أيّ هدف يعيش. إذّاك يتَّحد كلّ شيء معًا في حالة من الارتباط والانسجام [23]، وهذا له عواقب على طرق الحياة الرّوحيّة" [24].

لقد لامست كلمات البابا هذه قلبي بعمق، إذ أجد فيها صدًى لما اختبره كلٌّ منّا وحاول أن يعيشه في الجزائر، في مسيرته الشخصيّة أو الجماعيّة أو الكنسيّة على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية، وربّما أكثر قليلًا لمن وُلدوا هنا.

كان طلب لجنة اليوبيل منّي هو قراءة مساراتنا الروحيّة، متتبّعين خيوط قصصنا. أستطيع القول منذ البداية إنّ قصصنا وشهاداتنا تُظهر عدّة مقاربات وتفسيرات روحيّة.

تستحضر كلمة "الروحانيّة" الروح، ذلك النَّفَس العميق الذي يُحيي أجسادنا ويجعلنا أشخاصًا في مسيرة التأنسن، ساعين لإضفاء معنى على حياتنا وعلى الأسئلة الكبرى التي تشغلنا. ترى الروحانيّة المسيحيّة في ذلك نفحة الله. فالروح القدس يواصل عمل الخلق في العالم ويُشكّلنا من خلال التأمّل الإنجيليّ. وهذا ما يجعلنا قادرين على إدراك حضور الله حتّى في أكثر الأماكن استبعادًا، وعلى شكره عليه. من هذا المنظور، تُعَدّ الروحانيّة طريقة معيّنة للنظر إلى الذات والعالم. ولأنّ أيّ روحانيّة لا تستطيع إدراك سرّ المسيح بأكمله، يُمكننا الحديث عن الروحانيّات المسيحيّة بصيغة الجمع، حيث تُشير كلّ منها إلى جانب من جوانب هذا السرّ.

من ناحيتي، تساءلتُ عن العلاقة بين الروحانيّة، أو الخبرة الروحيّة، وبين نسج الروابط التي نعيشها في أماكن معيشتنا، ولقاءاتنا، وعلاقاتنا. لذا، **سأشارككم كيف يتجلّى هذا، من خلال جميع الشهادات، في عدّة مراحل**.

المرحلة الأولى: **"تلقّي الذات من الآخرين"**، أي قبول أن يستقبلك الآخر واستقباله في المقابل، وهو تعبير عن موقف الاحترام المتبادل. لا ينبع هذا من دافع إنسانيّ، بل نؤمن أنّه مبادرة من الله، لأنّ كلّ إنسان يتلقّى ذاته من الله كقيمة لا متناهية: *"فمَنِ ٱتَّقاه مِن أَيَّةِ أُمَّةٍ كانت وعَمِلَ البِرَّ كانَ عِندَه مَرضِيًّا"* (أعمال الرسل 35:10).

في هذا التقدير القائم على الاحترام، في هذه الحركة الإنسانيّة المتبادَلة، ندرك أنّ **الأخوّة** تتجسّد في الاستقبال والروابط التي تُنسج بالفعل في جماعاتنا وتفيض من الـ"في ما بيننا"، في مجّانيّة العلاقات، والخدمات المُقدَّمة والمُتلقاّة. هذا يُغذّي الرغبة في الإصغاء إلى الروح القدس العامل في كلّ شخص وفي كلّ نشاط، **ويجعلنا حضورًا** لأنفسنا وللآخرين، وحتّى

لما هو غير مرئيّ. الانتباه والإصغاء الداخليّ والنظرة الساهرة تُهيّئنا للقاء **الله في الإنسان**، في تحوّل داخليّ يفتح قلوبنا على **الملكوت**.

1. تلقّي الذات من الآخرين

"اخلعوا نعالكم، لأنّ المكان الذي تقفون عليه أرض مقدّسة" (خروج 3:5).

الآخر موجود قبل أن نقترب منه. إنّه مطبوع بتاريخٍ شخصيّ. وهو منخرط في شبكة علاقات تفرض عليه نمطًا سلوكيًّا معيّنًا قد يغيب عنّا معناه العميق إن لم نكن منتبهين بما فيه الكفاية، لأنّه مُلزم بأداء دور في بيئته. لكي نلتقي به، نحن مدعوّون أوّلًا إلى عدم الحكم على هذا التعقيد، كي نسمح له بالوجود أمامنا كما هو، بدون إصدار أحكام متسرّعة، وبدون أن نفرض عليه معايير أفكارنا المسبقة أو نظام تفسيرنا، وبدون السعي لإدخاله في خططنا أو اهتماماتنا أو رغباتنا.

للقاء الآخر، لزيارته والسماح له بزيارتنا، أكّد العديد منا على أهمّيّة تقبّل كلّ شخص كما هو، بكلّ تعقيدات تاريخه وأصوله وتربيته، وحتّى جراحه ومحدوديّاته. لكي ننتبه إلى وجود الآخرين ببساطة، من المهم أن نُوضّح ذواتنا كأشخاص، وأن نكون في حقيقة مَن نحن، وأن نحرص على أن تكون خياراتنا مبنيّة انطلاقًا، أو بفضل، النداءات التي سمعناها في حياتنا. فهذا يسمح لنا بأن نكون منفتحين حقًّا على لقاء الآخر واستقباله.

تُعدّ "الزيارة" التي قامت بها مريم لأليصابات (لوقا 1:39-56) معيارًا رائعًا للقاءٍ يُثمر فرحًا وتحرّرًا متبادلَين. هذه اللحظة المميّزة التي عاشتها هاتين المرأتين تُتيح فرصًا للتعبير الحرّ، والاستقبال اللطيف، والإصغاء باهتمام.

إنّ قبول أن يؤثّر الآخر فيَّ ويستقبلني، واستقباله بالمقابل، بروح التبادل، يُتيح لكلمة الله أن تتجسّد فينا. فالأمر يتعلّق باستقبال الآخر بمجّانيّة وسخاء، وأحيانًا بلا حدود. وهذا يتطلّب صمتًا داخليًّا، إذ علينا أن نقبل أوّلًا عدم الفهم، وعدم المعرفة، وعدم معرفة كلّ شيء. إنّها خبرة قلبيّة، لأنّ

للقلب أسبابًا لا يستطيع العقل تفسيرها. وقد يتطلّب الأمر أحيانًا شجاعة، ويُجبرنا على التساؤل عن طرق الحضور والتصرّف التي تعوّدنا عليها، أو التي اعتبرناها "طبيعيّة" لأنّ كثيرين أعطوها قيمة.

تعبّر شهادات عدّة عن هذه الأسس.

"في هذا المشهد المتعدّد الألوان، جُبِلنا كلّنا من الطين نفسه بعقليّاتنا وأعراقنا المختلفة. رغبتي العميقة هي أن يستقبلني الجزائريّون ويحبّوني، وهم غالبًا ما يفتقرون إلى تقدير ذواتهم. هذا القرب المنشود لا يخلو من الصعاب. كثيرًا ما أنسى أنّ أرض الآخر مقدّسة. أنا محظوظة جدًّا لأنّني صمدتُ في هذا السياق. فهذه الرفقة هي ما يُضفي معنًى على حياتي لكوني امرأة مسيحيّة، فأنا مع يسوع وأعيش في الوقت نفسه مع آخرين لا يعرفونه. ما يعطينا الحياة هو أن نُحَبّ؛ هذا جزء من البشارة! وفكّ رموز حضور الروح القدس ومراجعته أمرٌ حيويٌّ بالنسبة إليّ. ليتني أكون ذلك القلب الذي يعرف كيف يستقبل كلمة بشريّة متناغمة مع كلمة الله، الذي يعرف كيف يجمع الوحي الذي يرسله إليّ هنا، من خلال كلمات شعبٍ تسكن فيه الكلمة أيضًا وتنبت بدون ضجيج. كما قال كريستيان دو شيرجيه: "هناك مشيئة إلهيّة غامضة للشعب المسلم، معبد لحضوره يدعوني للدخول إليه".

وهكذا، تتابع كلمة الله مسارها. فالكتاب المقدّس غذاؤنا، وخبز القربان المقدّس والخبز الذي نتشاركه في اجتماعاتنا يساعدنا على صقل آذاننا وإدراك صدى صوت الله الذي لا يكفّ عن الكلام في أحاديثنا وخبراتنا، والاستجابة التي نقدّمها له، كما تعبّر عن ذلك الشهادات الآتية:

"كلّ شيء يحدث عندما يجد الناس الوقت الكافي، فيستقبلون بعضهم بعضًا بصدق، ويتحدّثون بثقة. هذا النهج في الوجود والعمل يلامسني ويحفّزني. كلّ شخص يستطيع أن يختار فيه مساره، وطريقة تعبيره، وأسلوبه، وطريقته الخاصّة في المشاركة بحياة المجموعة التي ينتمي إليها وحياة وطنه. وهذا يقوم أساسًا على إمكانيّة لقاء الآخر متجاوزين أيّ أفكار مسبقة أو حواجز أو أطر تفسيريّة. لقد تعلّمت هذا وعشتُه على مدى

السنوات الخمس والعشرين الماضية في الكنيسة وفي المشاركات اليوميّة مع الجزائريّين. وقد تعزّزت روابط الصداقة والرفقة لديّ بفضله. (...) إنّ "روح اللقاء"، التي غالبًا ما تزدهر في الأخوّة، تمنحني رضًا عميقًا وسلامًا كبيرًا. وبفضل تأثيرها في حياتي الداخليّة وعلاقاتي، توحّدت في داخلي صلتي بوطني ورغبتي العميقة في التفاعل مع جمال العالم وتجسيد، قدرما بوسعي، ما يستدعيني منذ زمن طويل: حياة يسوع وكلمته".

"في سياقنا، غير المسيحيّ في غالبيّته، أعتقد أنّنا سنستفيد كثيرًا من تذكّر ضرورة مواصلة عمل المسيح في حياتنا اليوميّة من أجل معاصرينا".

"ما منح حياتي معنًى ووحّدها هو مواصلة رسالة يسوع أينما كنت، مع الناس الذين التقيت بهم، والذين استطعت، مثله وفي مكانه، أن أمنحهم مزيدًا من الحياة، وأن أساعدهم على النموّ، وأن أعزّز الأخوّة والشراكة والمصالحة".

إنّ وجود الآخر يضفي على الحياة مذاقًا. فهو يدعونا باستمرار إلى الخروج من ذواتنا والبحث عن علامات الحبّ، من خلال الأفعال والأقوال في الحوار أو الصلاة، اللذَين يؤمّنان وجود الله. وقد أتاح هذا لبعضهم اختبار شيء من الحبّ الخالق: فكلّ إنسان له وجوده عندما يبدأ بالوجود من أجل شخص آخر، عندما يدخل في علاقة يُعترف فيها به.

"أليس كلّ لقاء مع الإنسانيّة الحقيقيّة بشرى سارّة؟ في هذه اللقاءات، لا نفترق كما لو كنّا نتبادل التحيّة. أحبّ أن أرى في هذا اللقاء بصمة الروح القدس. فحتّى بكلمات قليلة، نقول بعضنا لبعض: "حياتك تُسعدني، أنا سعيد بلقائك". أليست هذه بشرى سارة، زيارة روحيّة؟ كثيرًا ما أعيش اليوم هذا بفيض من المشاعر".

"الأساسيّ في رسالتي كراهبة فرنسيسكانيّة وعضوة في كنيسة الجزائر هو أن أتيح للآخر فرصة بذل الذات، وأن أمنحه فرصة التعبير عن فرحة بذل الذات. وهذا يتطلّب قدرًا من التواضع للوصول إلى قلب الآخر".

بالنسبة إلى من نلتقيهم، تكمن بشرى الملكوت أوّلًا في أنّنا نصغي إليهم باهتمام وعناية. ويمكن أن تصبح أماكن وجودنا أيضًا علامة على المصالحة. وهكذا، فإنّ استقبال زوّار تبحرين ، مسيحيّين كانوا أم مسلمين، له معنى. ففي الذاكرة الحيّة والهادئة لحياة الرهبان المتفانية، وفي صداقة الشعب الجزائريّ، يسمح هذا الاستقبال لنا بأن نكون خميرة سلام ومصالحة في ما بيننا، شخصيًّا وجماعيًّا. إنّ روحانيّة الغفران والمصالحة تُعَدّ من أهمّ جوانب استمراريّة رسالتنا في الجزائر.

2. عيش الأخوّة

"بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إن كنتم تحبّون بعضكم بعضًا" (يوحنّا 13: 35).

يقترب ملكوت الله عندما تزداد الأخوّة في علاقاتنا، ويزداد التماسك في مختلف هيكليّاتنا ومجتمعاتنا. إنّها علامة على أنّ هذه الشراكة في مسيرة. وفي الوقت نفسه، يجب علينا أن نعمّق علاقتنا بالربّ باستمرار، لنرى كيف يمكننا، في أماكن حياتنا، أن نروي ظمأنا للشراكة، وللأخوّة، وللمغفرة. في الروايات، يعبَّر عن أنواعٍ عدّة من العطش.

أوّلًا، هناك العطش إلى التفاهم المتبادل بيننا جميعًا، في الكنيسة، من أجل حياة أخويّة أكثر، وودٍّ، ومشاركة، ولقاء. هناك عطش إلى الاحتفال في الأيّام العاديّة أو في الفترات المهمّة لنستعيد نشاطنا. وهناك خصوصًا العطش لعيش خبرةٍ جماعيّة تُحدّثنا حقًّا عن الشراكة.

ويأتي العطش إلى التكوين: للفهم، والاكتشاف، والاختبار، ومزيد من المعرفة لأجل التقدّم وتغذية الإيمان. وإلى السعي للصلاة لتعميق علاقتنا بالرب. إنّه "علِّمنا كيف نصلّي" التي قالها التلاميذ ليسوع. وتمّ التعبير أيضًا عن الحاجة إلى المرافقة من أجل التقدّم، وإلى المشاركة مع الآخرين للنموّ في الإيمان، والدعم الأخويّ المتبادَل، وعيش هذه الشراكة في الصلاة التي تخبرنا عن شراكة القدّيسين. في الجزائر، لدينا مصادر إلهام عدّة وشخصيّات روحيّة عدّة لتغذية إيماننا. وقد ذكر بعضهم طوباويّينا التسعة

عشر، والقدّيس أوغسطينوس، والقدّيس شارل دو فوكو، والقدّيسين الشفعاء لرهبانيّاتنا ومؤسّساتنا.

كيف لنا إذن أن نستجيب لهذه الرغبات، وهذه الاحتياجات، وهذا العطش، لكي يتّسع النسيج العلاقيّ، ولكي نكون إخوة وأخوات بعضنا لبعض؟ يؤكّد بعضهم على أهمّيّة عيش جميع فرص المشاركة المتاحة، سواء بشكل فرديّ أو جماعيّ، بعمقٍ وبشكلٍ شخصيّ، مثلًا من خلال قراءة الكتاب المقدّس ودراسته معًا، أو مجموعات التفكير اللاهوتيّ، أو مجموعات زيارة السجون، أو غيرها. فالكنيسة، بوصفها جماعة إيمان ومشاركة، هي البيئة التي يستطيع فيها كلّ فرد أن يستمدّ الدعم الأخويّ ليجد طريقه ويتخطّى الأحكام والضغائن في مصالحةٍ شخصيّة و/أو جماعيّة. فمن خلال الإصغاء والتأمّل ومشاركة الكتاب المقدّس، تستمرّ عمليّة بناء العلاقة وتعميقها.

تُخبرنا إحدى الشهادات: *"لقد ساعدني ذلك على إدراك وحدة حياتي: في ضوء التنشئة الكتابيّة واللاهوتيّة التي نظّمتها الأبرشيّة (...) أدركتُ أخيرًا أنّني لا أعيش حياتين: حياة للعالم المسيحيّ، في عطلات نهاية الأسبوع، وأوقات الصلاة مع الأخوات، أو الاجتماعات، وحياة أخرى، في أيّام الأسبوع، مع العالم الإسلاميّ، وطلّابي، وزملائي المعلّمين"*.

وتخدم أماكن لقاء أخرى، ضمن التزاماتنا ومؤسّساتنا، في أحيائنا ومدننا، قضيّة الحياة الأخويّة، مُستجيبةً لهذا التعطّش إلى المشاركة والاحتفال مع الشعب الجزائريّ. وقد ذكر كثيرون منصّات لقاء مثل المركز الثقافيّ الجامعيّ في الجزائر العاصمة، و(Ciara) (مركز تكوينٍ سابق، مغلق حاليًّا)، وبيت بن سمن، ومركزي نبراس وديلو في قسنطينة، ومكتبات وهران والجنوب، والعديد من الأماكن الأخرى للمشاركة في الحياة والتكوين والمرافقة. يجتمع الجزائريّون والجزائريّات، ومعظمهم من المسلمين، هناك، ويجعلون من هذه الأماكن نقاط مرجعيّة لتجديدهم الإنسانيّ والروحي.

إنّ تجمّعاتنا المتنوّعة، مثل الأيّام الإسلاميّة-المسيحيّة السنويّة التي تُنظَّم في نوتردام دافريك، والأيّام الأوغسطينيّة في بازيليكا القدّيس أوغسطينوس في عنابة، ولقاءات رباط السلام، ولقاءات "مدرسة الاختلاف"، وحضور المسلمين في مناسبات الصلاة المشتركة، وغيرها، تُشكّل غنًى للجميع، لأنّ الجماعة المُجتمعة تستعيد دعوتها الأساسيّة: أن تكون تجمّع رجال ونساء يشعرون بأنّ المسيح وصل بالفعل إلى كلّ إنسان، وأنّنا مدعوّون إلى دعم بعضنا بعضًا، والسعي، في مساندة حقيقيّة، إلى بناء مجتمع أكثر إنسانيّة، وأكثر احترامًا لمسار كلّ شخص، وقبل كلّ شيء، لاحترام الفئات الأكثر ضعفًا.

3. إدراك حضور الروح القدس الفاعل

"لدعوتكم قد دعتكم إلى رجاء واحد" (أفسس 4: 4).

أكّد بعضنا على أهمّيّة إدراك حضور روح الربّ وعمله في حياة المسلمين الجزائريّين، وعلى غرار السيّد المسيح، أن نعجب للإيمان الحيّ الذي يسكن قلوب الكثير من الرجال والنساء الذين نلتقيهم يوميًّا. فمن خلال نظرة تقديرٍ إلى من حولنا يصبح الخصب ممكنًا للجميع. عندما نهتمّ بالثقافة، والبحث الفنّيّ، والمسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة التي تُطرَح حولنا، وعندما نشعر بتعاطف حقيقيّ مع ما يشكّل حياة المجتمع الجزائريّ، يكون الروح حاضرًا وفاعلًا.

في لقاءاتنا مع الفنّانين الشباب - رسّامين، ومصوّرين، وكتّاب - في مركز الثقافة الجامعيّة (CCU) أو غيره، ينشأ معنًى مشترك ممّا نشعر به ونتذوّقه ونعيشه معًا. وتتمّ المشاركة في هذا المعنى بنوع من المجّانيّة القريبة غالبًا من الخبرة الروحيّة. في هذه المجّانيّة التي نحن مدعوّون إليها، نستعيد جذورًا داخليّة: أن نتوقّف، أن نستريح، أن نكون حاضرين لما يُقدّم ذاته، سواء في الإبداع أو في استقبال العمل. هذه الممارسة النشطة، بل والتأمّليّة، للتعبير الفنّيّ تنتمي إلى النمط الروحيّ. فالروح القدس حاضرٌ هنا، ويعمل.

وهو حاضرٌ في جميع مساعينا للمصالحة، ولإعادة بناء العلاقات، وفي حركةٍ حقيقيّة لتخطّي ذواتنا. وقد شهد بعضهم بأنّ الاجتماعات، حتّى داخل جماعتنا المسيحيّة، تقوم على الصراعات والتقييمات والأحكام. ويرى الكثيرون في الكنيسة عائلة ينتظرون منها الكثير. ولذلك يعانون بشدّةٍ من الانقسامات التي تعصف بها، وغياب التسامح والإصغاء. إنّهم يتوقون إلى *"كنيسةٍ يسودها الاحترام بدون تنافسٍ أو سعيٍ وراء المجد والفوقيّة والسلطة"*.

يقول المجمع الفاتيكانيّ الثاني عن الكنيسة إنّها أشبه بسرّ الخلاص، فهي علامته وخادمته. إذا كانت جماعة كنسيّة ما مدعوّة لتكون علامةً للخلاص المُقدَّم للجميع، فهذا يعني أنّها قادرة على اختباره والشهادة له. ويتمّ التعبير عن علامة الخلاص في اجتياز صعوباتنا وصراعاتنا وعنفنا. وهذا يتمّ من خلال حوارٍ صادقٍ، في روح من التسامح والمحبّة المرغوبة والمُحافظ عليها حتّى في حالة الاختلاف.

من خلال هذه الخبرات، شعر بعضنا بقوّة الروح القدس الفاعلة، التي تُحرّر القلوب وتشفيها، وتمكّننا من أن نفرح بمواهبنا أو قدراتنا الشخصيّة كما بمواهب الآخرين وقدراتهم، حتّى نُسخِّر هذه المواهب لخدمة أكبر عدد ممكن من الناس:

"في مسيرتي الإيمانيّة، عانيتُ أيضًا من جروح. عندما أردتُ الانخراط بشكل أعمق في جماعة مسيحيّة، واجهتُ عقبات لم أفهمها (...). في الوقت نفسه، كانت حاجة تتنامى في داخلي: الحاجة إلى الرابط الإنسانيّ، والدفء الأخويّ، والمشاركة الصادقة. دفعني هذا النقص إلى أن ألتزم فعلًا مع النساء المسيحيّات الجزائريّات. أردتُ أن أُقدّم لهنّ ما كنتُ أتمنى الحصول عليه سابقًا: أذنًا صاغية، كلمة معزّية، ومساحةً يُمكننا فيها أن نكون على حقيقتنا بدون خوف من الإدانة. أصبح هذا الالتزام بالنسبة إليّ طريقًا للشفاء والنموّ في الإيمان".

"كلّ من دُعي لاتّباع يسوع، مهما كانت دعوته، مدعوٌّ لنشر الخلاص في العالم. ما أعاد شارل دو فوكو تقديمه هو جعل الناس يفهمون أنّ هذا الخلاص لا يمكن تحقيقه إلّا بالتضامن مع الرجال والنساء السائرين على الأرض نحو الملكوت، شريطة أن يُعاش هذا التضامن في شراكة مع يسوع الذي جاء ليسير بيننا ليخلّصنا. هؤلاء أنفسهم الذين دُعيوا لإعلان الملكوت بالكلمة، أو بالعمل الرعائيّ، أو بخدمة الأشدّ فقرًا، يعيشون في أجسادهم هذا التضامن الذي يجلب الخلاص".

4. كن حضورًا

"يقول الربّ: ها أنا ذا" (أشعيا 58: 9)

إنّ الحياة التي تُختبَرُ كاستقبالٍ وانتباهٍ إلى الآخر وإلى ما يحدث، يمكن أن تُعبِّر عن تحدّيها على النحو الآتي: أن يصبح المرء حضورًا، أن يُجسّد الحضور. ما حدث في يسوع يسمح بفهم شيء من هذا. امرأة مريضة، يسوع حاضرٌ معها قلبًا وقالبًا (لوقا 4: 38-44). اقترب منها، وانحنى إليها، كان حاضرًا حقًّا، من أجلها، بكلّ كيانه. لم يفعل شيئًا سوى أن يكون حاضرًا، ومع هذا الحضور، وهذا الصراع مع الشرّ هدأ جسد المرأة وعقلها.

في المساء، أتى إليه جميع المرضى، فشفاهم ببساطة يده الممدودة. أليست هذه علامة على حضوره الكامل المُقدّم لمن هم حاضرون؟ لم يُقَل أكثر من ذلك، لكنّنا نفهمه: كان يسوع حاضرًا وسط كلّ هذه الجموع بشكلٍ جعل الأشخاص يمشون أو ينهضون.

بالنسبة إلى بعضهم، حضورنا، من خلال انتباهنا للّحظة الراهنة، هو أحد الأبعاد الروحيّة لرسالتنا في هذا البلد:

"إنّ دعوة كنيستنا في الجزائر هي الثبات في الصلاة، في السجود، في المحبّة، الثبات في هذا الحضور الحرّ من أجل المسيح ومن أجل إخوتنا وأخواتنا من حولنا الذين لا يعرفون يسوع. (...) قال الأخ كريستوف من

تبحرين عن الكنيسة: "إذن، أتعلّم أنّ هناك أوّلًا الكنيسة، ونحن هذا الجسد المسيحيانيّ (...) ثمّ هناك شيء فريد في طريقتنا في أن نكون كنيسة: أن نتفاعل مع الأحداث، ننتظرها، ونعيشها؛ إنّه وعيٌّ معيّن، كما لو أنّنا مسؤولون ليس عن شيء نفعله، بل عن شيء نكونه هنا، استجابةً للحقّ، استجابةً للمحبّة".

وإذ نحن مدعوّون للمشاركة في روح ربّنا، يُدعى كلٌّ منّاباستمرار، كتلميذ، للعيش في هذا الحضور، لنكون هذا الحضور بين الجميع. واللغة التي نستخدمها تحمل شيئًا من هذه الخبرة. فعندما نقول عن شخص إنّ "له حضورًا"، فإنّنا نعني أنّه يقيم حقًّا في مكانه ويقابل الآخرين بصدق، يؤثّر فيهم ويحوّلهم بطريقة ما. وبالعكس، عندما نقول عن شخص ما إنّه "ليس حاضرًا في أقواله وأفعاله"، فإنّنا على الأرجح نعبّر عن صعوبة في الوجود.

في الوقت نفسه، وسط المعجزات التي رُويت في الأناجيل، ينسحب يسوع إلى مكان منعزل، بعيدًا عن الآخرين. يُصغي إلى صوت أبيه، وهذا الصوت هو الذي يُحرّكه ويجعله مُنتبهًا للآخرين. هذا الصوت يستحوذ عليه، يهيمن على حياته كلّها ويجعلها تلتزم. إنّه يستسلم لإرشاد هذا الصوت، ويُعطي حضوره بالكامل، ويثير في التلاميذ حضوراتٍ جديدة، أشكالًا حقيقيّة من الحضور، لتكون التسبيح الوحيد لله المتجسّد. إنّه يُظهر، عبر الزمن، حضور الله وملكوته بيننا، كما ورد في إحدى الشهادات:

"إنّ قدّيسينا المباركين مثالٌ يُحتذى به لما أسماه البابا في الإرشاد الرسوليّ "افرحوا وابتهجوا" (مارس 2018)، " قداسة الحياة اليوميّة". لقد تلقّيتُ هذا الإرشاد وكأنّه كُتب خصّيصًا لنا. كان قدّيسونا التسعة عشر أناسًا عاديّين. كانوا يُكرّسون حياتهم لله كلّ يوم في الصلاة وخدمة الآخرين. وعاشوا هذا في حياتهم اليوميّة بتقلّباتها وصعوباتها، كما هو حالنا جميعًا. كانوا يُجدّدون كلّ يوم الـ"نعم" لهبة حياتهم لله وللآخرين، وبالتالي يستحقّ الأمر العناء والبقاء في الجزائر. إنّ علاقتنا بإخوتنا وأخواتنا الجزائريّين،

حتّى في الصلاة، هي ردٌّ على الذين ما زالوا يسألوننا عن معنى وجود كنيستنا في الجزائر. الكنيسة تُمثّل محبّة الله لشعبه المُرسَل. إنّها الكنيسة المجاورة، وفقًا للتعبير الجميل في ذلك الإرشاد نفسه. القدّيس، كما يقول البابا لنا، هو الذي يرى قداسة أخيه المجاور".

5. لقاء مع الله ولقاء مع الآخرين

"والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا" (يوحنا 1: 14).

في المسيحيّة، لا ينفصل لقاء الله عن لقاء الآخرين. فالله يُحبّنا بمنحنا القدرة على محبّته وحده ومحبّة إخوتنا وأخواتنا. إنّه يُعطي ذاته لنا في الواقع الأكثر واقعيّةً لعلاقاتنا مع الأشخاص، ومن خلال الأشياء، وفي المشاعر التي يلهموننا بها.

إنّ كلّ التزامنا في المجتمع، ومع الآخرين، هو المكان الذي ندعى فيه لنكون قريبين من الربّ، فهو حاضرٌ بيننا ويسبقنا. إذا بحثنا عنه في ما نفعله وفي من نلتقي بهم، حينها نختبر شيئًا روحيًّا في صميم انخراطنا في هذا العالم. إنّه تحدٍّ دائم لنا، لكي تُركّز الحياة الجماعيّة والكنسيّة على هذه الخبرة العلاقيّة.

في القصص، عبّر بعضهم عن الوسائل التي استعملها ليكتشف عمل الله في صميم رسالتنا، هذا الإله الذي يسبقنا إلى جليلينا. كما أوضحوا أنّ وجود مشروع روحيّ لجماعاتنا وأبرشيّاتنا لا يعني بالضرورة تنظيم هذا الحدث أو ذاك، بل الإيمان بأنّ الروح القدس يعمل في العالم قبل وصولنا إليه بزمن طويل، وفي الأشخاص قبل أن نهتمّ بهم، مع التأكيد على أنّ العلاقة مع الله هي جوهر الروحانيّة المسيحيّة. هذه العلاقة واللقاء مع الربّ يُسعدنا ويُشعرنا بأنّنا في مكاننا الصحيح، أمامه وبين إخوتنا.

في الوقت نفسه، وكما قال كثيرون، هناك من حولنا من هم روحانيّون بدون أن يكونوا مسيحيّين، أي من يسعون لاستعادة روح الإنسانيّة.

"هنا، في الجزائر، أعتقد أنّنا جميعًا مدعوّون لفتح أبوابنا كلّ يوم لعمل الله فينا وفي الآخر. فما نختبره في الله يلتقي بما يختبره الآخر فيه. وبغضّ النظر عن اختلافاتنا، نصل إلى المكان الذي تلتقي فيه محبّة الله فينا بمحبّته في الآخر. هذا الانفتاح السلميّ والمثمر يمكن أن يُعاش ويظهر في سلام القلب و"اللباقة" (وهو ما كان عزيزًا على القدّيس فرنسيس)، حيث يحرص كلّ واحدٍ على أن يكون على طبيعته وأن يستقبل الآخر على طبيعته بأفضل ما فيه".

"يدهشني أن أرى أنّ يسوع أعلن الملكوت خصوصًا للجماهير، أي لجميع الرجال والنساء، بغضّ النظر عن دينهم أو عدمه. إنّ ميثاق الملكوت هو التطويبات (...) إنّ سرّ يسوع «أعظم من أن يُصدَّق» كي يرغب في أن يعرفه الجميع. ما أراده هو أن يدخل الجميع الملكوت".

"حدث لي أن تحدّثتُ عن روحانيّة فنجان القهوة (...) إنّنا نتأثّر بالعمق الروحيّ للعديد من اللقاءات الإنسانيّة. هل يحتاج الله والمسيح إلى أن يُذكر اسمهما؟ فكما هو الحال مع حجّاج عمّاوس، فإنّ رفيق حجّاج الرجاء، أي نحن، يمكنه أن يسير بجانبنا لفترة طويلة، طويلة جدًّا، معنا، فينا، بدون أن يُعرف. ومع ذلك فهو حاضر".

"لديّ قناعة بأنّ سر العهد يُعاش من خلالنا ومن خلال الشعوب التي تستقبلنا. نحن كنيسة الفقراء التي يجب أن تنهض كلّ يوم لترتدي مئزرها. وأن نكون في شراكةٍ مع كلّ واحد وواحدة منهم. إنّهم "المَنَّ" الخفيّ المعطى لنا في صيرورة القيامة. وهكذا، فإنّنا مدفوعون دائمًا لنعيش الأخوّة بشكل أفضل، كعلامة على محبّة الله الممنوحة حتّى النهاية. ما أعيشه هو بفضل جميع الآخرين. أليس سرّ الله هو الحياة بصيغة الجمع؟"

6. السير معًا

"ملكوت السماوات بيننا" (لوقا 17: 20).

حتّى قبل إعلان ملكوت الله والاعتراف به، فهو حاضر في كلّ مكان، في جميع الثقافات والأمم والأديان التي تُمارَس فيها تعاليم التطويبات الإنجيليّة. إنّه حاضر في العمل، في الاستقبال، في الودّ، وفي جميع أفعال المحبّة. إنّه باكورة ملكوت الله. ويأتي دور الشهود مباشرةً بعد ذلك، ليتعرّفوا إليه، ويعلنوه، ويضيفوا إلى الأفعال كلمةً تكشف معناها.

وتردّد الشهادات صدى حضور هذا الملكوت في قلوب المؤمنين المسيحيّين والمسلمين، مستندةً إلى قيم مشتركة، من أجل قضايا إنسانيّة مشتركة، بموقف إيجابيّ ومحترم. لأنّ الرغبة في السلام والرحمة والوئام والتعطّش إلى العدل، مثل جميع التطويبات، تُغيّر حياتنا من الداخل وتؤدّي إلى تحوّل اجتماعيّ، بل وسياسيّ.

نتعرّف إلى هذا الملكوت في الجزائر، عبر التاريخ، في حياة من سبقونا وساهموا في بناء مجتمع أكثر عدلًا، وأكثر أخوّة، وأكثر انسجامًا. ومثال رهبان تبحرين وحياتهم المتفانية له دلالة كبيرة.

"إنّ الإخوة والأخوات التسعة عشر الطوباويّين هم أيقونة جميلة لما هي هويّة كنيستنا. لا تزال هاتان المقولتان للطوباويّ كريستيان دو شرجي، رئيس دير تبحرين، الذي قُتل سبعةٌ منهم، راسختين في قلبي وذاكرتي. قال: "لقد أحبّ الله هذا الشعب، الجزائر، حتّى إنّه وهبهم ابنه؛ أحبّ الله هذا الشعب حتّى إنّه وهبهم كنيسته". في الكنيسة، بذل طوباويّونا حياتهم لله وللجزائر، وللشعب الجزائريّ. ظلّوا يحبّون هذا الشعب ويخدموه حتّى وهم يُعانون ويلات "العقد الأسود"، سنوات العنف العشر في الحرب الأهليّة الجزائريّة، 1990-2000. آمنوا بأنّ علاقاتهم بإخوانهم وأخواتهم، الذين شاركوهم حياتهم كلّها، أهمّ من حماية حيواتهم. كانوا مُعرّضين للخطر مثلهم، لكنّهم اختاروا البقاء معهم ودعمهم. أعتقد أنّ هذا يُعبّر عن جوهر ماهيّة كنيستنا. إنّها مع الشعب ومن أجله، وهي التي تأسّست هناك منذ القرن الثاني".

نحن نرى اليوم هذا الملكوت في علاقات المحبّة التي نكتشفها من حولنا، في المجّانيّة والامتنان لما أعطينا أن نعيشه هنا، وهو حامل للسلام والفرح. وينعكس هذا في مواقفنا ويُحدث تحوّلاتٍ استطعنا إدراكها في سنة اليوبيل هذه، والتعبير عنها في "الشكر" والاحتفالات وأيّام الأبرشيّة. هذه التحوّلات هي انعكاس لحياة يسوع في أفراد جماعاتنا الذين عبّروا عن أنفسهم. فحياتهم تشهد على الحياة التي نسعى إليها: الحياة الأبديّة مسترشدين بيسوع الناصريّ. على هذا الأساس نُدرك حضور الملكوت. إنّه يتجاوز المكان والزمان ويخوض "محنًا"، كما يقول سفر الرؤيا. ولا تُؤثّر صعوبات جماعاتنا الكنسيّة في سلام وفرح الحياة في يسوع. بل بالعكس، نحن مدعوّون، استجابةً للدعوات الموجودة في خبرات بعضنا، إلى التعمّق أكثر في صلاة "الأبانا": *" اغفر لنا خطايانا "*. فما الذي يُمكنه أن يُدمّر الـ"نحن" إن لم تكن الذنوب؟ لذلك، حسنٌ لنا أن نطلب من الآب أن يرعانا ويشفينا: *"اغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن للمذنبين إلينا، حتّى نستعيد بيننا هذا الـ"نحن" الإلهيّ، أي شبَه الله"*. ولتحقيق ذلك، نحتاج إلى تذكّر الذنوب التي عانينا منها، كما نحتاج إلى الاعتراف بالذنوب التي ارتكبناها بحقّ الآخرين، مصحوبةً بغفران الآب لنا. وقد اختبر بعضنا هذا، ويشهدون عليه برقّةٍ بالغة، بل وببساطةٍ شديدة.

7. الخاتمة: كن متفرّغًا

ختامًا، كلمة عن البساطة. فاشتهاء حياة بسيطة والميل إليها، أي متحرّرة من كثير من الأمور غير الضروريّة، حياة لها متّسع من الوقت، بدون تسرّع أو ركضٍ وراء كلّ ما هو متاح، هو ما يظهر في جميع قصص حياتنا. هذا هو مسار النسج: بساطة شخصٍ فاعل، هنا والآن، متأصّل في كيان اجتماعيّ وكنسيّ، في حضور يدعمه الإيمان من خلال نفحة مريحة لحضور إلهيّ عطوف وخلاصيّ.

يدعونا يسوع للانضمام إليه في حياة خفيفة ومُريحة. وهذا صدى لما كتبه الشاعر كريستيان بوبان في مجموعته الشعريّة "القائم من الموت":

"لقد تخلّصت في حياتي من أشياء كثيرة غير ضروريّة، فاقترب الله منّي ليرى ما يجري".

يفتح الإنجيل طريقًا إلى حياة أبسط، كما يشهد بذلك التراث الروحيّ كلّه. فكلمة الله تأتينا، وتنيرنا، وتتجسّد فينا. إنّها تُبسّطنا من الداخل، لأجل أسلوب حياة يتّسم بالاستقبال والحضور للآخرين.

تولد هذه الرغبة في حياة بسيطة من صميم تعقيد العالم، وأيضًا في انقسام قلب كلّ منّا. فمن خلال الإصغاء المتواضع، الخالي من أيّ ادعاء بالمعرفة أو السيطرة، ومن خلال الانتباه الذي نوليه لكيفيّة تأثير الأحداث الشخصيّة والجماعيّة فينا، وكيف تفتح قلوبنا للشكر أو الطلب، وكيف تجعلنا نهتزّ فرحًا أو استياءً، وكيف تلهمنا الشفقة أو الحنان، نصبح شهودًا على عمل الروح القدس.

وهكذا تتّجه الحياة نحو وحدتها، في استقبال اللحظة الحاضرة، حيث يلتقينا، ويقيم فينا، ويستولي علينا ما هو أعظم منّا. التأمّل في كلمة الله، والصلاة، والتفكّر، والعلاقة الشخصيّة مع الربّ، كلّها مدعوّة هنا كمساحة يوميّة أساسيّة للخشوع. هناك نستطيع أن نعيد توحيد أنفسنا داخليًّا، في حركة استسلام للآب، وربّما أيضًا لمحاربة الإحباط الذي قد يُسيطر علينا أحيانًا. كان يسوع ينفرد بنفسه في نهاية أيّامه المليئة باللقاءات والمحادثات، حتّى تستمرّ علاقته بالآخرين في بساطة الحياة اليوميّة، وتلبّي رغبته يومًا بعد يوم: أن يدخل جميع الناس ملكوت الله.

S. Gosia Jabłońska. الأخت غوسيا يابلونسكا

المؤلف

فاليري كابوري: وُلدت في بوركينا فاسو عام 1979. وهي راهبة من راهبات مرسلات سيّدة أفريقيا، وصلت إلى وهران عام 2006 للعمل كممرّضة في جناح الأطفال بمستشفى المدينة. تركت عام 2009 لتتابع تكوينها، ثمّ عادت إلى الجزائر العاصمة عام 2014، حيث عملت مع الطلّاب في المركز الثقافيّ الجامعيّ (CCU) للعلوم الطبّيّة، ومع كبار السنّ في دار القدّيس أوغسطينوس، وشاركت في استقبال الزوّار في كاتدرائيّة سيّدة أفريقيا. ومنذ العام 2019، تتولّى فاليري إدارة *دار الإكرام* في الجزائر العاصمة، وهي دار تُعنى بمرضى الزهايمر وعائلاتهم.

ملخّص المراجعة الروحيّة الثانية

حاملو الرجاء في مسيرة ... 57

1 بعض المسارات الروحيّة 57

1-1 مسار "الوجود مع": فرحة التواجد مع أبناء الوطن 57

1-2 الجماعة الأخويّة: الزمالة المنسوجة والمعاشة مع أعضاء الكنيسة الآخرين 59

1-3 مسار الضيافة: التعلّم على الترحيب واستقبال الترحيب من الآخرين 62

1-4 خبرة الحوار من خلال التعاون في العمل أو في المعيشة اليوميّة المشتركة 63

1-5 دعوة أن نكون الكنيسة الجامعة في الجزائر 64

2 بعض التحدّيات 66

2-1 البقاء في الامتنان 66

2-2 التحدّي الماليّ 67

2-3 الشراكة في التنوّع 68

2-4 المستقبل 69

2-5 لتحوّلات 70

3 الخاتمة 71

حاملو الرجاء على في مسيرة ...

أعادتني قراءة هذه القصص المختلفة إلى عوالم شديدة التنوّع. في بعض الأحيان، شعرتُ بقرب حميم من الأشخاص. وهذا يملأني بالامتنان والتواضع والدعاء، من أجل حاضر الوجود المسيحيّ في هذا البلد ومستقبله.

أرى أنّ كلّ هذه المشاركات دعوةٌ لنكون أكثر انفتاحًا لنستقبل أنفسنا في نموّنا، ولنستقبل الآخرين كما هم وكما يرون أنفسهم، ولنجد الله الذي يكشف عن ذاته خارج أطرنا وتوقّعاتنا. أنا أعي أنّني لم أستكشف كلّ الجوانب.

1. بعض المسارات الروحيّة

من خلال قراءة مشاركة الآخرين، حدّدتُ خمسة مسارات روحيّة بدا لي التعمّق فيها مهمًّا. إنّها خطوط أرشدت، وما زالت ترشد، وستستمرّ في إرشاد مسيرة كنيستنا في الأرض الجزائريّة:

- مسار "الوجود مع": فرحة التواجد مع أبناء الوطن؛

- الجماعة الأخويّة: الزمالة المنسوجة والمعاشة مع أعضاء الكنيسة الآخرين؛

- مسار الضيافة: التعلّم على الترحيب واستقبال الترحيب من الآخرين؛

- خبرة الحوار من خلال التعاون في العمل أو في المعيشة اليوميّة المشتركة؛

- دعوة أن نكون الكنيسة الجامعة في الجزائر.

1-1 ***مسار "الوجود مع": فرحة التواجد مع أبناء الوطن***

هذا الواقع حاضر في العديد من القصص. وهو غالبًا نتاج اختيارنا للتقرّب من الناس في دروبنا. كما أنّه ينبثق من خبرات لقاءات شخصيّة عميقة ودائمة. يبدو لي أنّه الفرح الذي ينبع من الإنجيل المُعاش بصدق وفي

الحقّ. قد ينبع هذا المسار الروحيّ المتمثّل في "الوجود مع" ممّا يقترحه القديس إغناطيوس دي لويولا: "أن نجد الله في كلّ شيء وكلّ شيء في الله". فبالتأصّل في هذا اليقين، تكتسب جميع جوانب لقاء الآخرين معنًى أعمق. وهكذا، تكتسب أفعال الحياة اليوميّة البسيطة قيمة أبديّة. أليس هذا هو درب الناصرة، حيث صار الله نفسه واحدًا منّا في يسوع، ابن يوسف النجّار ومريم؟

إليكم بعض المقتطفات الدالّة من النصوص:

"أحببت الجزائر، لا لمناظرها الطبيعيّة ومناخها المعتدل اللطيف وحسب، بل أحببت خصوصًا أهلها، وقد بادلوني هذا الحبّ بصدق...".

"وجودي في قلب المدينة يعني بالنسبة إليّ الاستماع إلى أصواتها، ورؤية سكّانها والإصغاء إليهم، والشعور بأجواء الأسواق. فأنا أعيش بين شارع محمّد الخامس وشارع تليملي، وأعمل بالقرب من ساحة أودان. أتجوّل في الشوارع، وأحيّي الناس، سواء كنت أعرفهم أو لا أعرفهم...".

*"يا لها من فرحة أن نستقبل مجموعة من العمّال الصينيّين الذين كانوا يعملون على طريق البليدة - المدية، لا سيّما وأنّ هذه المجموعة كانت برفقة مترجمة كفؤة، **ويا لها من فرحة أن نستقبل** مجموعة من الحجّاج في طريقهم إلى تمنراست، ويا لها من فرحة أن نستقبل وكالة جزائريّة جاءت لاكتشاف هذا الموقع البارز للسياحة الروحيّة، ... **ويا لها من فرحة أن نفتح الباب** لمجموعة من الخزّافين في توأمةٍ مع مجموعة جزائريّة من الجلفة ... وعائلة صديقة من الجزائر العاصمة جاءت للاسترخاء في عطلة نهاية الأسبوع في هواء تبحرين النقيّ، **ويا لها من فرحة** أن نحتفل **بالإفخارستيّة** مع مجموعة من الكشّافة الفرنسيّين الشباب في مخيّم جوّال في الجزائر، على خطى الإخوة، وشارل دو فوكو، والقدّيس أوغسطينوس ... **ويا لها من فرحة أن نقدّم عرضًا تاريخيًّا** عن وجود الرهبان الترابيست في التيطري لطلّاب جامعيّين جزائريّين متخصّصين في التاريخ، **ويا لها من فرحة أن نفتح الباب لجيران** الدير الذين يأتون ببساطة لتحيّتنا وإظهار*

*قربهم، **ويا لها من فرحة أن نتشارك قطعة من كعكة "تمّينة"**، يا لها من فرحة أن نحتفل **بميلاد مولودٍ جديدٍ في القرية، وفي كلّ عيدٍ إسلاميّ، نتبادل التهاني مع الجيران** ونتمنّى لهم عيدًا سعيدًا..."*.

*"كان جان بيير هيرون، الشماس الدائم الذي يعيش وحده في جبال القبائل، **حضورًا جميلًا** في قلب شعبٍ خدمه ككاتبٍ عامٍّ، وفي المنطقة نفسها، كان وجود راهبةٍ من الراهبات البيض في الاربعاء نايت إيراتن؛ راهبات تنس، على بُعد 200 كيلومتر من العاصمة. حضورٌ كنسيّ قد يراه **المرء عديم الأهمّيّة**، ولكنّه مع ذلك **يُعبّر عن كلّ شيءٍ في الإنجيل، كالخميرة في العجين..."*.

2-1 **الجماعة الأخويّة: الزمالة المنسوجة والمعاشة مع أعضاء الكنيسة الآخرين**

إنّ كنيسة الجزائر الصغيرة جزءٌ من الكنيسة المؤسّسة على المسيح. وكما كان حال الجماعة الصغيرة في البداية، فهي المكان الذي تنمو فيه الدعوة الشخصيّة لكلّ مسيحيّ وتتعزّز. كلّ جماعة من جماعاتنا الكنسيّة الصغيرة تُصبح نظامًا بيئيًّا حاملًا للحياة. في هذا النظام البيئيّ، تُشكّل الأخوّة بين أعضاء الكنيسة عقدًا جوهريًّا في متانة العلاقات بين الأفراد. وهي أيضًا مصدر قوّة ودعم متبادلَين. تتأصّل هذه الأخوةّ في الصلاة، وفي الاحتفالات المشتركة أو في الشراكة، وفي الفترات التشاركيّة النوعيّة، وأحيانًا في الأحداث الصعبة التي نعيشها معًا. تُصبح هذه الشراكة الأخويّة إسمنتًا يدعم الجماعة من الداخل، وثمرة طيّبة متاحة للجميع من الخارج. فكلّ المشاركات تصبّ في تأكيد هذه الشراكة الأخويّة كعنصر بنّاء في الكنيسة، وجزء من خطّة الله، وضمانة للشهادة الإنجيليّة الحقيقيّة. إليكم بعض التعبيرات عن ذلك:

"كلّ جماعة من الإخوة والأخوات المسيحيّين هي بيت نور، حيث يسطع حضور المسيح ويشعّ على أهل البيت وعلى من حولهم. إنّها هبة ثمينة للجميع".

"إنّ اختبار شراكة العائلة مع الأساقفة أمرٌ بالغ الأهمّيّة. فالكنيسة في المذود ليست مجرّد عنوان كتاب، بل هي حقيقة كنيستنا".

"الصلاة المشتركة بين الآباء السبيريتان والراهبات الفرنسيسكانيّات مرسلات مريم، ثمّ الراهبات السالزيانيّات: صلوات الصباح والمساء، مع قدّاس مدمج مع الصلوات في الصباح أو المساء، تُجسّد اتّحادنا في الصلاة، ينبوع رسالتنا المشتركة. سأكتشف بنفسي أهمّيّة الانتظام في هذه الأوقات من الصلاة المشتركة. لا الانتظام وحده، بل أيضًا لحظات المشاركة والدعم المتبادل هذه".

"ما أشعر بالامتنان له وأشكر الله عليه هو وجود عائلة مار منصور، كمكان للمشاركة والتجديد والدعم".

"أهمّ ما يمكنني ذكره هو أنّني حظيت بعائلة أعتمد عليها، في الجزائر، في كنيسة الجزائر، خصوصًا في بومرداس. اليوم، أنا من الأقدم هناك. أناديهم جميعًا إخوتي وأخواتي الصغار. وهم ينادونني الأخ الكبير. إنّها حقًّا عائلة حظيت بها هنا".

"انتمائي إلى عمادة الشرق/القبائل، حيث كنّا نلتقي بانتظام لنتشارك بما نعيشه، ولننطلق، ولنتساءل عن الرسالة والأولويّات التي يجب الحفاظ عليها تجاه الجزائريّين والطلّاب. تعرّفنا إلى الآباء البيض في تاريخهم ورسالتهم. أعتزّ بهذه اللقاءات، رغم أنّ بعضها كان في البداية صاخبًا وهائجًا جدًّا؛ فقد كانت دائمًا فرصة للالتقاء مجدّدًا تحت نظر الربّ وأمام الرسالة التي أوكلها إلينا. كانت حقًّا أوقاتًا للأخوّة".

"ومعًا، مع الآخرين، الإخوة والأخوات، أنا في مسيرة. كلٌّ منّا يحمل معه ما لديه، وما هو، وما يفعله، وما يملكه. إنّه تعاون. ومعًا، كعائلة، نواصل المسيرة. وبهذه الطريقة نبني عالمًا، بيتًا، يشعر فيه الجميع بأنّه في سكنه. هذه هي الكنيسة التي نبنيها".

"أشكر الربّ من كلّ قلبي على جماعة قسنطينة؛ فالتقارب الذي يجمعنا بأعضائها يُساعدنا على أن ننموا روحيًّا. الله يعرف كلّ واحد منّا بطبعه، ولكنّه يجمعنا معًا في الصلاة. إنّها عائلة، عائلة حقيقيّة".

"لقد حضرتُ جلساتٍ للتعمّق في الأناجيل باهتمامٍ بالغ. فتعلقتُ أكثر فأكثر بما كان في الواقع رعيّتي. هناك وجدتُ ما كنتُ أبحث عنه: عودةً إلى حياتي الروحيّة التي أُهمِلت طويلًا لأسبابٍ عائليّة. تعلّمتُ من جديد كيف أصلّي. كما استقبلنا، ببساطة، السفير البابويّ في الجزائر عام ٢٠٢٣. تمكّنّا من الصلاة معًا من أجل السلام. تعود إليّ ذكرياتٌ قديمة: مشاركة عيد الميلاد، والتجمّعات الاحتفاليّة لجميع أعضاء جماعتَي عنّابة والسهل؛ والتحضير الجماعيّ الضخم، والكاتو، والمشروبات، وبالطبع، الأغاني التي تمتزج معًا في فرح".

"إضافةً إلى اكتشافي جماعةً رائعة، صغيرة للأسف، لكنّها ودودة جدًّا، تعرّفتُ إلى الكاهن وأبناء الرعيّة. اندمجتُ جيّدًا، وبدأتُ أعيش مع الجماعة في القداديس، وأعيش اللحظات الليتورجيّة في شراكة كاملة مع الطلّاب (الاحتفالات)، وقدّاس الأحد مع "جماعة السهل". سمحت لي الفترات الهامّة من التجمّع في عيد الميلاد، وعيد الفصح، وفي الصوم الكبير، وغيرها، باستعادة قدر من السكينة والفرح. هذا ما جعلتني الكابيلّا أكتشفه وأختبره...".

"أعتقد أنّ الكنيسة هي جسد المسيح، خصوصًا عندما نعيش معًا، أي عندما أتخلّى عن جزء منّي لأفسح المجال للآخر".

وأخيرًا، عبّر الأصغر سنًّا أيضًا عن الدور المفيد لجماعة الكنيسة في مسيرتهم الإنسانيّة والإيمانيّة: "ما أحبّه أيضًا هو أنّ إيماننا يتغذّى في الجماعة. نصلّي معًا، ونرنّم، ونعيش لحظات مؤثّرة وروحيّة ، بسيطة أحيانًا، لكنّها عميقة جدًّا. غالبًا ما تكون هذه هي اللحظات التي نتذكّرها نحن الشباب أكثر من غيرها".

وختامًا لهذه النقطة المتعلّقة بالجماعة، نلاحظ أنّه لا أحد يكون مسيحيًّا بمفرده. فبالمعموديّة ننتمي إلى الله وبعضنا إلى بعض. ونشكّل جسد المسيح، الذي يقوم على التنوّع.

3-1 *مسار الضيافة: التعلّم على الترحيب واستقبال الترحيب من الآخرين*

"فتَقَبَّلوا إذًا بَعضُكُم بَعضًا، كما تَقَبَّلَكُم المسيح، لِمَجْدِ الله" (رومة 15: 7)

إنّ موقف الاستقبال المتبادل دليل على إيماننا بالمسيح، الذي استقبلنا أوّلًا "لمجد الله". لذا، فهذا ليس مجرّد خطاب إجماعيّ نابع من إلهام إنسانيّ، حيث ينبع استقبال الآخر من رغبة في قبول الاختلاف أو تمجيد غنى التنوّع. فنحن المسيحيّون نتلقّى نعمة الله، ولتمجيده، لأنّه مصدرها، فإنّنا مدعوّون إلى استقبال بعضنا بعضًا. وهذا ينطبق أكثر على واقعنا. فالاستقبال هو ملاط وجودنا في الجزائر. إنّه يعني فتح أبواب بيوتنا، ومراكزنا، وقبل كلّ شيء أبواب قلوبنا، لنستقبل الآخر ونستقبل منه. ومن جهة أخرى، فإنّ قبول أن يُرحّب بنا هو متطلّب أيضًا. فالاستقبال عمليّة اهتداءٍ وتحوّل وبحث دؤوب عن كيفيّة الانتقال من الأنا إلى النحن، ومن هم إلى نحن. كانت أختان من الراهبات البيض تعيشان معًا في الكاف، بتونس، تقولان: "خبز الضيافة لا يُخبَز مُسبقًا، بل يُصنع معًا، بين الوافدين ومستقبليهم". يُشير هذا القول إلى عمليّة ديناميكيّة تدعو إلى التزام كلّ شخص. النتيجة غير متوقَّعة، ولها طعم ما قدّمه كلّ فرد. وهنا يكتسب رمز الباب الذي يسمح بالمرور دلالة عميقة. شهادة الكتّاب في هذا الصدد بليغة:

"أُشارك بفعاليّة في بناء كنيسة الجزائر من خلال وجودي وصلاتي، ومن خلال أنشطة بسيطة داخل هذه الكنيسة نفسها، ومن ***خلال استقبال*** *زوّار بازيليكا سيّدة أفريقيا".*

"لقد كانت خبرة جميلة ومؤثّرة ***أن يستقبلوني بحفاوة****، وأن أعمل بدون إزعاج، وأن أكسب احترام وثقة زملائي والأطبّاء والمرضى، وحتّى الأطفال".*

*" **تقليد الاستقبال**: الحركات، والكلمات، والوجبات، وأخوّة الضيافة".*

"في بني عبّاس، نستقبل الزوّار من الجزائر وخارجها... مسلمين وحجّاجًا ولا أدريّين، لأنّ الدير من الأماكن التي تُدرج وكالات السفر زيارتها في برنامجها".

"في الكنيسة، أشارك في استقبال كلّ من يطرق الباب".

"... أشعر بأنّني أُستقبَلُ كأخ".

"لأنّني قلت لنفسي إنّ ما يسبّب لنا المشاكل غالبًا هو غياب الحوار وعدم المعرفة. هذا كلّ ما في الأمر. إذا خصّصنا وقتًا للتعارف والإصغاء المتبادَل والحوار، سنرى أنّ لدينا الكثير من القواسم المشتركة، وأنّ هناك أمورًا كثيرة يمكننا مشاركتها. وهكذا، في كلّ أسبوعين من يوم الربّ، يوم الجمعة الذي نحتفل فيه، نقيم القدّاس الإلهي، وفي الجمعة التالية، نقيم صلاة إنجيليّة نشارك فيها جميعًا".

الاستقبال بالنسبة إلينا، ككنيسة صغيرة في الجزائر، أولويّة رسوليّة شخصيّة وجماعيّة. وهي أيضًا قيمة روحيّة نتشاركها مع أصدقائنا المسلمين وإخواننا وأخواتنا من مختلف التقاليد الدينيّة. يقودنا هذا المسار إلى اكتشاف الآخر، واكتشاف أنفسنا، واكتشاف الله. إنّها مسيرة حقيقيّة نحو التحوّل الروحيّ والإنسانيّ، نتعلّم فيها التواضع والحقيقة والتسليم.

4-1 ***خبرة الحوار من خلال التعاون في العمل أو في المعيشة اليوميّة المشتركة***

على الرغم من أنّ قضيّة الحوار الإسلاميّ المسيحيّ باتت اليوم موضوع الساعة في معظم أنحاء العالم، إلّا أنّ التجربة الجزائريّة تبدو لي فريدة من نوعها. تُبرز معظم الكتابات اللقاءات الإنسانيّة والالتزام المشترك لأجل الخير كشرط أساسي لمسارٍ على المستوى الروحيّ. بعبارة أخرى، نحن أصدقاء وجيران وزملاء قبل أن نكون مسيحيّين ومسلمين.

"أيّها الآب الصالح، نباركك على الروح القدس الذي يعمل في قلوب إخوتنا وأخواتنا المسلمين في تبسة، وفي أقوالهم وأفعالهم. إنّهم يعملون، كلٌّ بطريقته، من أجل ملكوتك، ساعين إلى سبل السلام. وهم، كلٌّ بطريقته، يُشكّلون جسد المسيح بشغف، ساعين إلى الحقّ والعدل".

"لقد فهمتُ أنّ رسالة هذه الكنيسة في الجزائر هي العيش في أخوّة مع الشعب الجزائريّ. وفي مجموعات النساء التي أحضرها يوميًّا، تقع على عاتقي مسؤوليّة إحياء "العيش المشترك". نعمل معًا باحترام، على الرغم من اختلافاتنا".

يصف شاهد آخر مسار تحوّله بهذه الكلمات:

"لقد تعلّمتُ، في الكنيسة ومع رفاقي المسيحيّين، أن ننظر جميعًا إلى ذواتنا، أفرادًا وشعوبًا، كبشريّة متعدّدة ومعقّدة ومتكاملة في قلب الآب وتدبيره، وأن نشعر بارتباطنا، كشعب جزائريّ، بالبشريّة جمعاء وبالخليقة كلّها. وبعد أن ابتعدتُ عن تصنيف كلّ واحدٍ في فئة جامدة وحصريّة، وعن وضع تراتبيّات والقيام بمقارنات باستمرار، شعرتُ بالتعاطف واللطف يغمراني، ويعلّماننا كيف نسير ونبني معًا مع المسلمين الجزائريّين".

ويعبّر الشباب عن رغبتهم في الحوار كطلب: *"ثقوا بنا. امنحونا مساحة"*. و*"نحتاج أن نشعر بأنّنا جزء من هذه الكنيسة، لا مجرّد متفرّجين بل كبناة"*. تعليق: *"دعوهم يجرّبون ويبدعون ويقترحون، رافقوهم. لكن آمنوا بقدرتهم على أن يأتوا بثمر"*.

الحوار ممكن في إطار علاقة ثقة. إنّه خيار يُتّخذ ويُعاد اتّخاذه كلّ يوم.

5-1 ***دعوة أن نكون الكنيسة الجامعة في الجزائر***

تتغذّى كنيستنا في الجزائر من الكنيسة الجامعة من خلال تنوّع أعضائها، الذين من أصولٍ متعدّدة، ومشاركتها في هيكليّات الكنيسة الأم، وفي الأحداث المهمّة في حياتها. وبدورها، تغذّي العائلة الكبيرة للكنيسة الجامعة من خلال تقديم غناها الخاصّ ككنيسة مذودٍ هشّة، متواضعة، وأقلّيّة

في سياق إسلاميّ. إنّ طوباويّينا الشهداء التسعة عشر والقدّيسين الذين عاشوا هنا هم هبة للكنيسة الجامعة. كان أحد أساقفتنا يقول: *"مهما طالت مدّة إقامتك في الجزائر، فالكنيسة كنيستك"*. ونتيجة لذلك، تشارك الكنيسة في الجزائر في عالميّة الكنيسة من خلال غنى خبرات الذين يتردّدون إليها لفترة طويلة أو قصيرة. ويتجلّى جانب آخر من هذه العالميّة في رحلات الحجّ. كما تتجلىّ أيضًا في المشاركة المتبادلة بين أعضائها.

"هناك أمر ساعدني روحيًّا: في العام 2000، أرسلني المطران تيسييه إلى روما لحضور اليوبيل. لقد كانت بالنسبة إليّ خبرة عظيمة وفرحة غامرة، ونعمة أن ألتقي بالبابا".

ويصف شاهد آخر بوضوح كيف أصبح أكثر انفتاحًا من خلال لقاءاته مع الآخرين، فيقول:

"أكثر ما أقدّره في هذه الوظيفة هو التعرّف إلى الأبرشيّات الأخرى في الجزائر والمغرب، وهو ما تيسّر بفضل اجتماعات (CERNA) التي انعقدت في روما (لاستحالة الاجتماع في ليبيا أو الجزائر، أو لأجل الزيارة الرسميّة)، ممّا ساهم في زيادة اتّساع نظرتي".

شهادات أخرى أثّرت فيَّ:

"تتكوّن الجماعة المسيحيّة من حوالى عشرة طلّاب؛ وغالبًا ما تكون غالبيّتهم من مختلف الطوائف البروتستانتيّة. إنّها خبرة مسكونيّة جديدة لي، لدرجة أنّنا في بعض السنوات قلّما نحتفل بالقدّاس، ونختار قضاء وقت لا بأس به في الصلاة بعد المشاركة في الكتاب المقدّس. وهناك أيضًا بعض المسيحيّين الجزائريّين، لكنّه يصعب عليهم الانضمام إلى الجماعة المسيحيّة بشكل مرئيّ".

"كوني سكرتيرًا للمؤتمر الأسقفيّ الإقليميّ لشمال إفريقيا يعني المشاركة في شبكة الأقاليم الثمانية للكنيسة الكاثوليكيّة في إفريقيا التي ينسّقها مؤتمر الأساقفة في إفريقيا ومدغشقر (SECAM)؛ إنّها فرصة لي

لأكتشف قليلًا القارّة وكنيستها من خلال اجتماعات في أبيدجان، أو أكرا، أو أديس أبابا، أو نيروبي".

"أعيش اليوم حياتي وأنا معمّدة، مكرّسة في الحياة اليوميّة العاديّة، مرتبطة بعائلتي، أي أبرشيّة قسنطينة، ورعيّة القدّيسة مونيكا، من خلال الصلاة والخدمات البسيطة التي أؤدّيها. صلاة الزمن الحاضر مهمّة، وأحرص على الالتزام بها: صلاة الصباح، وصلاة الغروب، والمشاركة في القدّاس الإلهي، أعظم صلاة في الكنيسة. هذا الوقت من الصلاة يضعني في شراكة مع الكنيسة: إنّها صلاة الكنيسة. فصلاة الزمن الحاضر، وصلاة الساعات، هي تقديس الساعات، وبالتالي تقديس الزمن. هذا التقديس للساعات يضعني في شراكة مع إخوتي وأخواتي في كنيستنا هنا في الجزائر، وخارج الحدود مع أخواتي من برادين".

"في السابق، لم يكن هناك وقت للاحتكاك، لكنّ العلاقات كانت ودّيّة وأخويّة؛ ومع ذلك، كانت هناك جماعة السكّان المحلّيّين وجماعة الأوروبّيين إلى جانب جماعة الطلّاب. بعد العام 2000، كُسرت الحواجز. صارت الجماعات جماعة واحدة. وهذا أيضًا بفضل قدوم الآباء البيض من أوروبا. أعتقد أنّ هذا يحطّم كلّ أفكارنا عن الآخر، والعكس صحيح. ففي السابق، كانت للعلاقة حواجز؛ أمّا الآن فنحن إخوة حقًّا".

2. بعض التحدّيات

يعبّر بعض الناس عن تحدّيات مرتبطة بخبراتٍ سابقة أو برجاءاتهم. سأتناول هنا خمس نقاط، وسيساعدنا التعمّق فيها على المضيّ قدمًا في المرحلة المقبلة التي تظهر بعد اليوبيل.

2-1 ***البقاء في الامتنان***

"أَحمَدُكَ يا أَبَتِ، رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض" (متّى 11: 15)

على الرغم من تقلّبات التاريخ وأحداث الحياة اليوميّة، فإنّ الدعوة الأساسيّة الموجّهة لتلاميذ المسيح، في رأيي، هي موقف الامتنان. ففي الواقع، قد تهيمن علينا بسهولة حالات الظلم والعجز والشعور بالقهر إذا لم

نبقَ منتبهين إلى علامات الملكوت، التي غالبًا ما لا تشدّ الانتباه، وإذا لم نحافظ على حالة دائمة من الشكر. إنّ إغراء الانتقاد، الذي قد ينتابنا عند الاستماع إلى إخواننا وأخواتنا الجزائريّين، وإغراء مقارنة الأوضاع الجزائريّة بخبراتنا الخاصّة، لا يساعدنا على البقاء في الشكر. وبالمثل، مع مرور الوقت، قد يستولي علينا التعب من صراعات معيّنة، متكرّرة لا يبدو أن شيئًا يتقدّم فيها: وهذا يعرّضنا لشعور "بالقرف" يقوّض قدرتنا على الشكر.

"نعرب عن امتناننا العميق له لأجل جماعة بجاية الكاثوليكيّة الرائعة، حيث لا تدع الأخوّة ومحبّة القريب مجالًا للشكّ. إنّ عائلة الإيمان هذه، المتّحدة في المسيح يسوع، تسير تحت نيره الرحيم، هو سيّد الزمان والمكان. بمشيئته المقدّسة، يتقدّم هذا التجمّع، الغنيّ بتنوّعه الثقافيّ، في انسجامٍ مبهر، ويتخطّى إشعاعه الروحيّ الحدود المرئيّة".

2-2 ***التحدّي الماليّ***

تعتمد كنيستنا في الجزائر اعتمادًا كبيرًا على المساعدات الماليّة الخارجيّة لتأمين حاجاتنا اليوميّة، وصيانة مبانينا، ونشاطاتنا الرسوليّة. فنشاطاتنا لا تُدرّ دخلًا كافيًا. ينال بعض شيوخنا معاشًا تقاعديًّا جزائريًّا، إلّا أنّ هذا المصدر ينضب عند وفاتهم. وحدهنّ راهبات الفقراء الصغيرات يمتلكن مشروعًا يعتمد على تبرّعات الجزائريّين. لكنّ المشاركات في شكل رسوم التسجيل ورسوم العضويّة وتبرّعات المستفيدين في الأنشطة الأخرى التي تنظّمها جماعاتنا لا تكفي لتغطية النفقات. فكيف نواجه تحدّي عدم امتلاكنا الوسائل اللازمة لإعالة أنفسنا ماليًّا؟ كيف يستمرّ "العيش على المصل" في العيش ودعم العمل الخيريّ؟ كيف يمكنها مواصلة خدمة الفئات الأكثر ضعفًا في المجتمع بدون أن المخاطرة بالتحوّل إلى منظّمة غير حكوميّة (تُعنى بالشفافيّة والمهنيّة وإمكانيّة تتبّع التحويلات الماليّة، وتلبية حاجات الأشخاص في أوضاع صعبة)؟

هذا الجانب غائب في المشاركات، ولكنّي أراه مهمًّا اليوم، ولذلك أتمسّك بالإشارة إليه كتحدٍّ.

3-2 *الشراكة في التنوّع*

في السنوات الأخيرة، أصبح أعضاء الجماعة المسيحيّة أكثر تنوّعًا في خلفيّاتهم. وهذا بلا شكّ نعمة، لكنّه في الحياة اليوميّة يُثير إشكاليّة في الشراكة، نابعة من التوتّر بين الشخصيّات والثقافات والخبرات. هل لهويّاتنا الوطنيّة أولويّة على انتمائنا للمسيح ورغبتنا في أن نكوّن كنيسة معًا؟ هل هناك أعضاء أكثر مسيحيّة من غيرهم؟ كيف نكون كنيسة الجزائر، جزءًا من الكنيسة الجامعة، مع الحفاظ على طابع جزائريّ مميّز؟

"على مرّ السنين، صار لنا أصدقاء التقيناهم في رعيّتنا، رابطة إيمان حقيقيّة؛ مسيحيّون ومسيحيّات، في بلد مسلم، يتشاركون القيم نفسها (التسامح، الصداقة، المشاركة) ويسيرون على نهج كنيسة الجزائر".

يقوم هذا القلق على الحاجة إلى الشفاء، والمصالحة، وإعادة بناء الثقة المفقودة. فاللاوعي يحتفظ حتّى الآن بعدم الثقة نتيجة العلاقات المضطربة مع فرنسا وصدمات العقد الأسود التي لم تُشفَ بعد. في بعض الحوارات، يظهر هذا التحدّي المتمثّل في التواصل مقابل الحذر.

"لم تتمكّن جهود التعافي من أن تصل إلى حدّ السماح للشباب في مرحلة التكوين بالتعبير علنًا لشرح وفهم ما مرّ به الناس. فحين تستعمل السلطة الحاكمة تعابير "العقد الأسود" و"المأساة الوطنيّة"، توحي بأنّه مسرحيّة يؤدّيها ممثّلون مجهولون للجميع، وبدون عائلات".

أودّ أيضًا تسليط الضوء على اختلافَين يُشكّلان تحدّيَين أمام الشراكة. الأوّل، وسأُسمّيه مجازًا "بين القدماء والجدد". ألاحظ في كنيستنا اختلافًا واضحًا في المفاهيم بين مَن عاشوا في هذا البلد منذ بداية الألفيّة ومن وصلوا حديثًا (قبل حوالي خمس سنوات). فمَن أتوا في بداية الألفيّة، هناك إشارةٌ إلى سنوات الإرهاب والانتقال إلى الكنيسة التي نحن عليها اليوم. أمّا الوافدون الجدد، فينصبّ التركيز أكثر على الخدمة المُقدّمة للجماعة

المسيحيّة واللقاءات غير الرسميّة دائمًا مع الجزائريّين من خلال هذه الخدمة. الاختلاف الثاني يتعلّق بالأشخاص حاملي الجنسيّة الجزائريّة. فهم متأثّرون بخبرتين ورغبة: خبرات الرفض التي قادتهم إلى طريق البحث، وخبرة المعموديّة الأساسيّة، والرغبة في "عائلةٍ جديدةٍ مُرحّبةٍ ودافئةٍ وحنونة" في الكنيسة. في المقابل، يُركّز الأشخاص من جنسيّاتٍ أخرى أكثر على التفاعلات بين الثقافات والأديان، وتحديدًا علاقتهم بإخوانهم وأخواتهم المسلمين.

4-2 *المستقبل*

بالتفكير في هذه النقطة، أجد نفسي أمام سؤال: "ما الذي يدعونا إليه الربّ اليوم ككنيسة؟" يتناقص عدد المقيمين الأجانب الدائمين، ويكافح السكّان المحلّيّون لإثبات وجودهم، عالقين بين الاضطهاد الخارجيّ وصعوبة التموضع. ما هو المستقبل الذي ينتظرنا في ظلّ تقليص عدد المقيمين الدائمين وعدم الاعتراف بالمسيحيّين الجزائريّين؟ يبدو لي أنّ هناك إحباطًا شديدًا بين المسيحيّين الجزائريّين تجاه الكنيسة. يبدو أنّ هذه الشهادة تُعبّر عن الأمر خير تعبير:

"على مرّ السنين، فرضت حقيقة مؤلمة أخرى نفسها عليّ كفرملةٍ خطيرة لنموّ الكنيسة ونضجها في الجزائر، ولا سيّما هنا في قسنطينة. لقد لاحظتُ بحزن أنّ بعض الكهنة والراهبات الذين قدموا من الخارج - على الرغم من حماسهم الصادق، وتعاطفهم الواضح، ورغبتهم العميقة في الخدمة - يعانون صعوبة أحيانًا في فهم الاحتياجات الروحيّة والإنسانيّة للمؤمنين الجزائريّين فهمًا كاملًا. غالبًا ما كان التزامهم مُنصبًّا على الخارج: على الحوار بين الأديان، والانفتاح على الإسلام، والاستقبال اللطيف الذي نالوه من العديد من المسلمين. هذه الضيافة - الحقيقيّة والمُستحقّة للثناء - بدت أحيانًا وكأنّها تستحوذ عليهم لدرجة صرف انتباههم عن الجماعة المسيحيّة المحلّيّة الصغيرة، التي لا تزال هشّة، ومعزولة، ومتعطّشة للتشجيع".

شهادات أخرى تبدو لي مثيرة للاهتمام في هذا الصدد:

"إنّ زخم العمل الرسوليّ لكنيسة الجزائر يصعب التعبير عنه، لأنّ الدولة الجزائريّة تشكّ في أنّنا دعاة لديانتنا، وتُظهر ذلك من خلال إصدار تأشيرات دخول لموظّفي الكنيسة بالتقتير".

"في الوقت الراهن، تحدّي تأسيس كنيسة محلّيّة متجذّرة في الثقافة الجزائريّة يواجَه من خلال حياة الجماعات أكثر منه من خلال التفكير المجرّد، ولا سيّما من خلال الليتورجيا والترانيم المُستعارة من لغات مختلفة، والتي تتميّز بإيقاعات وألحان شديدة التنوّع".

"يحدث أحيانًا أن تتموضع بعض وجهات نظرنا الأجنبيّة، بدون وعي (أو ربّما عن جهل)، فوق الواقع الجزائريّ. وتؤدّي مقارنات "نحن - هم" إلى صور نمطيّة تفتقر إلى التعاطف البدائيّ الذي ينبغي أن يتحلّى به المسيحيّ. ويحدث أيضًا أن يبدو الإخوة أو الأخوات الذين وصلوا في العقد الأخير غير مبالين بمعنى لقاءاتنا وعمقها".

"كلّ ما أتمنّاه شخصيًّا هو أن يكون لدينا يومًا ما كنيسة لا تُعتبر مجرّد جمعيّة ثقافيّة. لقد بدأتُ أتعرّف إلى الكنيسة في عهد الأسقف تيسييه، الذي أكّد على أهمّيّة الوجود المسيحيّ، ولكن بشكل متحفّظ".

5-2 ***التحوّلات***

إنّ أحد العناصر الثابتة في المشاركة هو الاستعداد لعيش التحوّلات الشخصيّة، والانتقالات، والتبدّلات... أليس هذا هو جوهر روح الحجّ؟ إنّها في الواقع مسارات بدأت بالفعل، تشقّ، كالنهر، الطريق وفقًا للزمان والمكان. في نهاية المطاف، يكشف هذا العنصر عن كنيسة في مسيرة طوال العصور. إليكم مقتطفًا بليغًا من نصّ يُوضّح هذه التبدّلات المستمرّة:

"تطوّر كبير آخر هو ملامح "مرسلي" الكنيسة أو طاقمها الدائم. فبعد أن كان معظمهم أوروبيّين (من فرنسا وإسبانيا بشكل رئيسيّ)، أصبحوا الآن يأتون من جميع القارّات، مع أغلبيّة من الوافدين الجدد من أصول

أفريقيّة. كما انخفض متوسّط أعمارهم، وأصبح التوزيع العمريّ أكثر توازنًا. لا تزال الفرنسيّة لغة الكنيسة، لكنّ الإنجليزيّة هي اللغة الثانية، متقدّمة على العربيّة والأمازيغيّة. وقد شجّعت سنة البداية في مركز غليسّين، الذي أُنشئ قبل بضع سنوات، على التكوين في اللغة العربيّة، وعلى إقامة طقوس دينيّة أكثر عربيّةً".

يكمن التحدّي على هذا المستوى في دمج هؤلاء المقيمين الدائمين الجدد اجتماعيًّا ورسوليًّا. لكنّ الربّ يعطينا الجواب: *" فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتْبَعُنَا، فَمَنَعْنَاهُ لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُنَا». فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعًا أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا »"* (مرقس 9: 38-39).

3. الخاتمة

أختار التوقّف هنا. في ختام هذه القراءة والتفكير، تبقى العلاقة بين المسيحيّين والمسلمين في هذا البلد لغزًا عميقًا بالنسبة إليّ. يبدو لي أنّ على كلّ تلميذ للمسيح في هذا البلد أن يجد معنى لوجوده هنا والآن، وأن يلتزم في الوقت نفسه بمسار المعرفة والفهم للمجتمع الجزائريّ. هذا الأمر يبدو لي بالغ الأهمّيّة في كلّ حين. والآن، يكمن التحدّي في إيجاد القيم التي نبني عليها هذا البحث عن المعنى. وأخيرًا، بصفتنا جماعة من التلاميذ، هل نحن مصلّون نتعايش ونتواصل مع مصلّين آخرين بهدف بناء ملكوت الله، الذي يقوم على العدل والسلام والعيش المشترك؟

S. Valérie Kaboré الأخت فاليري كابوري

خاتمة

تهدف هذه المجموعة من النصوص إلى تعريفكم بخبرة الكنيسة الكاثوليكيّة في الجزائر من خلال ثلاثة محاور: التاريخيّ، واللاهوتيّ، والروحيّ، مع تقديم منظورين مختلفين في هذا المجال.

نأمّل أن تكون قراءتكم قد أتاحت لكم فرصة التعرّف إلى كنيستنا، سواء كنتم لم تسمعوا بها من قبل أو لديكم بعض المعرفة عنها. إذا كنتم تقيمون في الجزائر، نأمل أن تكون قراءتكم قد أنارت جانبًا أو آخر من حياتكم. ربّما وجدتم أنفسكم في بعض المواقف التي عشتموها أو لاحظتموها لدى الآخرين. نأمل أن تكون هذه الشهادة الكنسيّة قد غذّت حياتكم الروحيّة ودعتكم لمواصلة حجّكم الروحيّ في هذا العالم.

في نهاية قراءتكم، قد تكون لديكم ملاحظات أو أسئلة. لا تتردّدوا في التواصل معنا عبر موقع الكنيسة الإلكترونيّ.

الفريق الأبرشيّ ليوبيل 2025.

مارتا أروسيو، زوادي بارونجو،

دافيد كارارو، توفيق إيمانويل،

كريستوف رافانيل، فنسنت سومبورو

ملخّص

مقدّمة	3
مراجعة تاريخيّة	7
مخطّط المراجعة التاريخيّة	9
مراجعة لاهوتيّة وكنسيّة	19
مخطّط المراجعة الكنسيّة	21
مراجعات روحيّة	35
مخطّط المراجعة الروحيّة الأولى	37
مخطّط المراجعة الروحيّة الثانية	56
خاتمة	72



https://eglise-catholique-algerie.org